بازبین شد
۱۳۵۳ خ

میکروفیلم تهیه شد

کتابخانه آستان قدس

اسم کتاب توحید مفضل - ع ب بس ازآن حدیث الهلیلجیه است

مصنف

مؤلف بروایت مفضل بن عمر جعفی

خطی

چاپی نسخ ۱۹ سطری

سال طبع یا تحریر ۱۰۶۷ عدد اوراق ۵۷

جزء کتب اخبار شماره ~~۲۹۳~~ ۴۴۶

شماره عمومی ۱۹۵۵ شماره قبض

واقف آقا زین العابدین تاریخ وقف ۱۱۶۶

طول ۲۰ عرض ۱۳ سانتیمتر قفسه

الهلیلجیه

۴۶۰۲۸ ع ۳۹۳ خ

اخبار

بحار شماره ۹۲

توحید

حدیث مفضل و بعد — در احتجاج با عبدالکریم بن ابن ابی العوجاء در اثبات واجب قدیم بروایت مفضل بن عمر جعفی و مشهور است بر مجالسی که در مناظره منعقد گردیده اول نسخه: روی محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر) آخر نسخه: بالم ینصرف احد بمثله) تاریخ تحریر ۱۰۶۷ — بعد از آن بلا فاصله

حدیث اهلیلجه است: عین بحار شماره (۸۳) روایت مفضل بن عمر جعفی است: اول نسخه: حدثنی محمد بن سعید الحزی بدمشق) آخر آن: عن الشرکاء والانداد) تاریخ تحریر ۱۰۶۷

ختم [illegible]

[illegible]

۱۱۶۶

بازبینی شد
۱۳۵۴ ع

کتابخانه آستان قدس
موزه خطی

بسم الله الرحمن الرحيم

روى محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر
جالسا في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمدا
صلى الله عليه وآله من الشرف والفضايل وما منحه واعطاه وشرفه به
وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته
وخطر مرتبته فاني لكذلك اذ اقبل ابن ابي العوجاء فجلس بحيث
اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذا رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه
فتكلم ابن ابي العوجاء فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز
الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل احواله فقال له صاحبه انه كان
فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات
بهرت العقول وضلت فيها الاحلام وغاصت الالباب على طلب علمها
في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير فلما استجاب لدعوته العقلاء
والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه افواجا فقرن اسمه باسم ناموسه
فصار يهتف به على رؤس الصوامع في جميع البلدان والمواضع التي انتهت
اليها دعوته وعلت بها كلمته وظهرت فيها حجته برا وبحرا وسهلا وجبلا
في كل يوم وليلة خمس مرات مرددا في الاذان والاقامة ليتجدد في كل ساعة

ذكره

ذكره لئلا يخمل امره فقال ابن ابي العوجاء دع ذكر محمد صلى الله عليه وآله
فقد تحير فيه عقلي وضل في امره فكري وحدثنا في ذكر الاصل الذي يمشي
به ثم ذكر ابتداء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا
صانع له ولا مدبر بل الاشيا تتكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت
الدنيا لم تزل ولا تزال قال المفضل فلم املك نفسي غضبا وغيظا وحنقا
فقلت يا عدو الله الحدت في دين الله وانكرت الباري جل قدسه الذي
خلقك في احسن تقويم وصورك في اتم صورة ونقلك في احوالك حتى
بلغ بك الى حيث انتهيت فلو تفكرت في نفسك وصدقك لطيف حسك
لوجدت دلايل الربوبية وآثار الصنعة فيك قايمة وشواهده جل
وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لايحة فقال يا هذا ان كنت من اهل
الكلام كلمناك فان ثبت لك حجة تبعناك وان لم تكن منهم فلا كلام لك و
ان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك
يجادل فينا ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت فما افحش في خطابنا
ولا تعدى في جوابنا وانه لحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خرق
ولا طيش ولا نزق ويسمع كلامنا ويصغي الينا ويستعرف حجتنا حتى اذا
استفرغنا ما عندنا وظننا انا قد قطعناه ادحض حجتنا بكلام يسير وخطاب
قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردا فان كنت من
اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه قال المفضل فخرجت من المسجد محزونا
مفكرا فيما بلي به الاسلام واهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها فدخلت

كتابخانه آستانه قدس

على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا فقال ما لك فاخبرته بما سمعت من
الدهريين وبما رددت عليهما فقال لالقين اليك من حكمة الباري جل
وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل
ذي روح من الانعام والنبات والشجر المثمرة وغير ذات الثمر والحبوب و
البقول المأكول من ذلك وغير المأكول ما يعتبر به المعتبرون ويسكن الى معرفته
المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكّر علي غدا قال المفضل فانصرفت من عنده
فرحا مسرورا وطالت علي تلك الليلة انتظارا لما وعدني به فلما اصبحت
غدوت فاستؤذن لي فدخلت وقمت بين يديه فامرني بالجلوس فجلست
ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها ونهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل
ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه فقال يا مفضل كأني بك وقد طالت
عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك فقلت اجل يا مولاي فقال
يا مفضل ان الله كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما الهمنا
وله الشكر على ما منحنا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه
فقلت يا مولاي أتأذن لي ان اكتب ما تشرحه وكنت اعددت معي ما اكتب فيه
فقال لي افعل يا مفضل ان الشكاك جهلوا الاسباب والمعاني في الخلقة و
قصرت افهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه و
من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود
وبضعف بصائرهم الى التكذيب والعنود حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا
ان كونها بالاهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله

عما

عما يصفون وقاتلهم الله انى يؤفكون فهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة
عميان دخلوا دارا قد بنيت اتقن بناء واحسنه وفرشت باحسن الفرش
وافخره واعد فيها ضروب الاطعمة والاشربة والملابس والمآرب التي
يحتاج اليها لا يستغنى عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من
التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا ويطوفون
بيوتها ادبارا واقبالا محجوبة ابصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار وما اعد
فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه
وهو جاهل بالمعنى فيه ولما اعد ولماذا جعل كذلك فتذمر وتسخط
وذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في انكارهم ما انكروا من امر
الخلقة وثبات الصنعة فانهم لما عزبت اذهانهم عن معرفة الاسباب
والعلل في الاشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى ولا يفهمون
ما هو عليه من اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيئته وربما وقف
بعضهم على الشيء يجهل سببه والارب فيه فيسرع الى ذمه ووصفه بالاحالة
والخطأ كالذي اقدمت عليه المانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة
والفجرة واشباههم من اهل الضلال المعللين انفسهم بالمحال فيحق على من
انعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق
والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير بالدلالة القائمة
الدالة على صانعها ان يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب اليه في الثبات
عليه والزيادة منه فانه جل اسمه يقول لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان

عذابي لشديد يا مفضل اول العبر والادلة على الباري جل قدسه تهيئة هذا
العالم وتأليف اجزائه ونظمها على ما هي عليه فانك اذا تأملت العالم بفكرك
وميزته بعقلك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده
فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة
كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها لشأنه معد والانسان
كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب النبات مهيئة لمآربه
وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على
ان العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملائمة وان الخالق له واحد وهو
الذي ألفه ونظمه بعضا الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله
غيره تعالى عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون نبتدئ
يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به فاول ذلك ما يدبر به الجنين في
الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث
لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع
مضرة فانه يجري اليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا
يزال ذلك غذاءه حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي اديمه على مباشرة
الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج
واعنفه حتى يولد واذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم
امه الى ثدييها فانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء وهو اشد موافقة
للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه فحين يولد قد تلمظ وحرك

شفتيه

نضد تنضيد ... اى وضع بعضه على بعض

الجنين الولد ما دام في البطن

شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي امه كالاداوتين المعلقتين لحاجته فلا
يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق الامعاء لين الاعضاء حتى اذا
تحرك واحتاج الى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحن
من الاسنان والاضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له اساغته فلا
يزال كذلك حتى يدرك فاذا ادرك وكان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك
علامة الذكر وعز الرجل الذي يخرج به من حد الصبي وشبه النساء وان كانت
انثى يبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجال
لما فيه دوام النسل وبقاؤه اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان في هذه
الاحوال المختلفة هل ترى يمكن ان يكون بالاهمال أفرأيت لو لم يجر اليه ذلك
الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات اذا فقد الماء و
لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموءود في الارض و
لو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعا او يغتذي بغذاء لا
يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ولو لم تطلع عليه الاسنان في وقتها ألم يكن
سيمتنع عليه مضغ الطعام واساغته او يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه
ولا يصلح لعمل ثم كان تشغل امه بنفسه عن تربية غيره من الاولاد ولو لم
يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء
فلا ترى له جلالة ولا وقارا فقال المفضل فقلت يا مولاي فقد رأيت من يبقى
على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وان بلغ حال الكبر فقال ذلك بما
قدمت ايديهم وان الله ليس بظلام للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه

کتابخانه آستان قدس
دایره خطی

بكل شيء من هذه المآرب الا الذي انشاءه خلقا بعد ان لم يكن ثم توكل له بمصلحته
بعد ان كان فان كان الاهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب ان يكون
العمد والتقدير يأتيان بالخطاء والمحال لانهما ضد الاهمال وهذا فظيع من
القول وجهل من قائله لان الاهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي
بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا ولو كان المولود يولد
فهما عاقلا لانكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل اذا راى
ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم والطير من
البهايم الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك
بان من سبي من بلد الى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع
في تعلم الكلام وقبول الادب كما يسرع الذي يسبى صغيرا غير عاقل ثم لو ولد
عاقلا كان يجد غضاضة اذا راى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى
في المهد لانه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم
كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار
يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه اهله فيلقى الاشياء بذهن ضعيف ومعرفة
ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد
حال حتى يألف الاشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة
فيها الى التصرف والاضطراب الى المعاش بعقله وحيلته والى الاعتبار والطاعة
والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا اوجه اخر فانه لو كان يولد تام
العقل مستقلا بنفسه لذهب حلاوة تربية الاولاد وما قدر ان يكون
موضعه

للوالدين

للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للاباء على
الابناء من المكافات بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم
ثم كان من الاولاد لا يألفون اباءهم ولا يألف الاباء ابناءهم لان الاولاد
كانوا يستغنون عن تربية الاباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون
فلا يعرف الرجل اباه وامه ولا يمتنع من نكاح امه واخته وذوات المحارم
منه اذ كان لا يعرفهن واقل ما في ذلك من القباحة بل هو اشنع واعظم واقطع
واقبح وابشع لو خرج المولود من بطن امه وهو يعقل ان يرى منها ما لا يحل له
ولا يحسن به ان يراه افلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا
من الخطاء دقيقه وجليله اعرف **يا مفضل** ما للاطفال في البكاء من المنفعة
واعلم ان في ادمغة الاطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثا
جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء يسيل تلك الرطوبة
من رؤسهم فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم افليس
قد جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان
ليسكتانه ويتوخيان في الامور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء اصلح
له واجمل عاقبة فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء منافع لا يعرفها القائلون
بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء انه لا منفعة فيه من اجل انهم لا يعرفونه
ولا يعلمون السبب فيه فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثير مما
يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فاما ما
يسيل من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت

فى ابدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فاخرجته
الى حد البله والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج واللقوة
وما اشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم فى صغرهم لما لهم فى
ذلك من الصحة فى كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم
يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادى فى معصيته فسبحانه
ما اجل نعمته واسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون
علوا كبيرا انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع فى الذكر والانثى جميعا
على ما يشاكل ذلك فجعل للذكر آلة ناشزة تمتد حتى تصل النطفة الى الرحم
اذ كان محتاجا الى ان يقذف ماءه فى غيره وخلق للانثى وعاء قعرا ليشتمل
على المائين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس ذلك
من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون فكر يا مفضل فى اعضا
البدن اجمع وتدبير كل منها للارب فاليدان للعلاج والرجلان للسعى
والعينان للاهتداء والفم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص
والمنافذ لتنفيذ الفضول والاوعية لحملها والفرج لاقامة النسل و
كذلك جميع الاعضاء اذا تاملتها واعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل
شئ منها قد قدر لشئ على صواب وحكمة قال المفضل فقلت يا مولاى
ان قوما يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة فقال سلهم عن هذه الطبيعة اهى
شئ له علم وقدرة على مثل هذه الافعال ام ليست كذلك فان اوجبوا لها
العلم والقدرة فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه صنعته وان زعموا

انها

انها تفعل هذه الافعال بغير علم ولا عمد وكان فى افعالها ما قد تراه من الصواب
والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق الحكيم وان الذى سموه طبيعة هو سنة
فى خلقه الجارية على ما اجراها عليه فكر يا مفضل فى وصول الغذاء الى
البدن وما فيه من التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه وتبعث
بصفوه الى الكبد فى عروق دقاق واشجة بينها قد جعلت كالمصفى للغذاء
لكيلا يصل الى الكبد منه شئ فينكاها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل
العنف ثم ان الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما وينفذه الى البدن
كله فى مجارى مهياة لذلك بمنزلة المجارى التى تهيا للماء حتى يطرد
فى الارض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول الى مفايض قد
اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة وما كان
من جنس السوداء جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى
الى المثانة فتامل حكمة التدبير فى تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء
منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا
تنتشر فى البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من احسن التقدير واحكم التدبير
وله الحمد كما هو اهله ومستحقه قال المفضل صف نشو الابدان ونموها
حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال فقال عليه السلم اول تصوير الجنين فى الرحم
حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفيا جميع
ما فيه قوامه وصلاحه من الاحشاء والجوارح والعوامل الى ما فى تركيب
اعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف

فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمى بجميع اعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة
لا تتزايد ولا تنقص الى ان يبلغ اشده ان مد فى عمره او يستوفى مدته قبل ذلك
هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة يا مفضل انظر الى ما خص به الانسان
فى خلقه تشريفا وتفضيلا على البهائم فانه خلق ينتصب قائما ويستوى جالسا
ليستقبل الاشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوبا
على وجهه كذات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئا من الاعمال انظر الان الى هذه
الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان
فى الراس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل فى الاعضاء
التى تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الافات وتصيبها من مباشرة العمل
والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ولا فى الاعضاء التى وسط البدن
كالبطن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الاشياء فلما لم يكن لها فى شئ من
هذه الاعضاء موضع كان الراس اسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة
لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكى لا يفوتها شئ من المحسوسات فخلق البصر
ليدرك الالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة
وخلق السمع ليدرك الاصوات ولو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها
لم يكن فيها ارب وكذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافيا فلو كان بصر ولم
يكن الوان لما كان للبصر معنى ولو كان سمع ولم يكن اصوات لم يكن للسمع موضع
فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه ولكل
محسوس حاسة تدركه ومع هذا فقد جعلت اشياء متوسطة بين الحواس و

المحسوسات

المحسوسات لا تتم الحواس الا بها كمثل الضياء والهواء فانه لو لم يكن ضياء يظهر
اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدى الصوت الى السمع
لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل هذا
الذى وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضا وتهيئة اشياء
اخر بها تتم الحواس لا يكون الا بعمد وتقدير من لطيف خبير فكر يا مفضل فيمن عدم
البصر من الناس وما يناله من الخلل فى اموره فانه لا يعرف موضع قدمه ولا
يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى
حفرة ان هجم عليها ولا عدوا ان اهوى اليه بسيفه ولا يكون له سبيل
الى ان يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة
حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى وكذلك من عدم السمع يختل
فى امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات
واللحون الشجية المطربة ويعظم المؤنة على الناس فى محاورته حتى يتبرموا به ولا
يسمع شيئا من اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغايب وهو شاهد او
كالميت وهو حى فاما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهايم بل يجهل كثيرا مما
يهتدى اليه البهايم افلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وساير الخلال
التى بها صلاح الانسان والتى لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله فى ذلك من الخلل
يوافى خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك الا انه خلق بعلم
وتقدير قال المفضل فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح
فينا له فى ذلك مثل ما وصفته يا مولاى قال ع ذلك للتاديب والموعظة

لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة
فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمل من رايهم ويصوب من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل
بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه
ما ينالهم منها حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا
ليزدادوا من الثواب فكر **يا مفضل** فى الاعضاء التى خلقت افرادا
وازواجا وما فى ذلك من الحكمة والتقدير والثواب فى التدبير فالراس
مما خلق فردا ولم يكن للانسان صلاح فى ان يكون اكثر من واحد الا ترى
انه لو اضيف الى راس الانسان راس اخر لكان ثقلا عليه من غير حاجة اليه لان
الحواس التى يحتاج اليها مجتمعة فى راس واحد ثم كان الانسان ينقسم قسمين
لو كان له راسان فان تكلم من احدهما كان الاخر معطلا لا ارب فيه ولا حاجة
اليه وان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان احدهما فضلا لا يحتاج اليه وان
تكلم باحدهما بغير الذى تكلم به من الاخر لم يدر السامع باى ذلك ياخذ واشباه
هذا من الاخلاط واليدان مما خلق ازواجا ولم يكن للانسان خير فى ان يكون
له يد واحدة لان ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء الا ترى
ان النجار والبناء لو شلت احدى يديه لا يستطيع ان يعالج صناعته وان تكلف
ذلك لم يحكمه ولم يبلغ منه ما يبلغه اذا كانت له يدان يتعاونان على العمل اطل
الفكر **يا مفضل** فى الصوت والكلام وتهيئة آلاته فى الانسان فالحنجرة
كالانبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والاسنان لصياغة الحروف
والنغم الا ترى ان من سقطت اسنانه لم يقم السين ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء

لم يفصح ... ومن

ومن ثقل لسانه لم يفصح الراء واشبه شئ بذلك المزمار الاعظم فالحنجرة يشبه قصبة
المزمار والرية يشبه الزق الذى ينفخ فيه لتدخل الريح والعضلات التى تقبض
على الرية ليخرج الصوت كالاصابع التى تقبض على الزق حتى تجرى الريح فى المزمار
والشفتان والاسنان التى تصوغ الصوت حروفا ونغما كالاصابع التى تختلف فى
فم المزمار فتصوغ صفيره الحانا غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار
بالدلالة والتعريف فان المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت فذلك
بما فى الاعضاء من الغناء فى صنعة الكلام واقامة الحروف وفيها مع الذى
ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم الى الرية فتروح
عن الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذى لو احتبس شيئا يسيرا لهلك الانسان
وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها
وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة
على اساغة الطعام والشراب والاسنان لمضغ الطعام حتى يلين ويسهل اساغته
وهى مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك
بانك ترى من سقطت اسنانه مسترخى الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف
الشراب حتى يكون الذى يصل الى الجوف منه بقصد وقدر لا يثج ثجا فيغص
به الشارب او ينكا فى الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الانسان
اذا شاء ويطبقهما اذا شاء ففيما وصفنا من هذا بيان ان كل واحد من هذه
الاعضاء يتصرف وينقسم الى وجوه من المنافع كما تتصرف الاداة الواحدة
فى اعمال شتى وذلك كالفاس يستعمل فى النجارة والحفر وغيرهما من الاعمال

الدماغ اذا كشف عنه رايته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الاعراض
وتمسكه فلا يضطرب ولرايت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه هد الصدمة
والصكة التي ربما وقعت في الراس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة
الفرو للراس يستره من شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين الا الذي
خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيطة والصيانة بعلو منزلته من البدن
وارتفاع درجته وخطر مرتبته تامل يا مفضل الجفن على العين كيف
جعل كالغشاء والاشفار كالاشراج واولجها في هذا الغار واظلها بالحجاب
وما عليه من الشعر يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة
التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل اليه
ما ينكاه من جعل في الحلق منفذين احدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل
بالرية والآخر منفذ للغذاء وهو المري المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها
وجعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام ان يصل الى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة
الفؤاد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف من جعل
لمنافذ البول والغائط اشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الانسان
عيشه فكم عسى ان يحصي المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس اكثر
من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ ومن جعل
الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ولتهضم وتعمل ما هو الطف
من عمل المعدة الا الله القادر اترى الاهمال ياتي بشيء من ذلك كلا بل
هو تدبير من مدبر حكيم قادر عالم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف

الخبير

الخبير فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصنا في انابيب العظام هل ذلك الا ليحفظه
ويصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق بمنزلة الماء في الظروف الا
لتضبطه فلا يفيض لم صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها
ومعونة على العمل لم صار داخل الاذن ملتويا كهيئة الكوكب الا ليطرد فيه الصوت
حتى ينتهي الى السمع وليتكسر حمية الريح فلا ينكا في السمع لم حمل الانسان على
فخذيه واليتيه هذا اللحم الا ليقيه من الارض فلا يتالم من الجلوس عليهما كما
يالم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يقيه صلابتها من جعل
الانسان ذكرا وانثى الا من خلقه متناسلا ومن خلقه متناسلا الا من خلقه
مؤملا ومن اعطاه آلات العمل الا من خلقه عاملا ومن خلقه عاملا الا من جعله
محتاجا ومن جعله محتاجا الا من ضربه بالحاجة ومن ضربه بالحاجة الا من
توكل بتقويمه من خصه بالفهم الا من اوجب له الجزاء ومن وهب له الحيلة الا
من ملكه الحول ومن ملكه الحول الا من الزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته
الا من لم يبلغ مدى شكره فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الاهمال على هذا النظام
والترتيب تبارك الله عما يصفون اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد اعلم
ان فيه ثقبا موجهة نحو الثقب التي في الرية تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت
تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك الانسان
افيستجيز ذو فكر وروية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال ولا يجد شاهدا
من نفسه ينزعه عن هذا القول لو رايت فردا من مصراعين فيه كلوب اكنت
تتوهم انه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع يلقى فردا آخر

فيتزوده ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كانه
يزدمن زوج مهنا من زوداني فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه
فتبا وخيبة وتعسا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة
حتى انكروا التدبير والعمد فيها لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل
الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا ابدا كيف كان الرجل
يتقلب في الفراش او يمشي بين الناس وشي شاخص امامه ثم يكون في ذلك
مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا فقدر
الله جل اسمه ان يكون اكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال
منه مؤونة بل جعل فيه القوة على الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لما قدر
ان يكون فيه من دوام النسل وبقائه اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على
الانسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الاذى اليس من حسن التقدير
في بناء الدار ان يكون الخلاء في استر موضع فيها فهكذا جعل الله سبحانه
المنفذ المهيأ للخلاء من الانسان في استر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه
ولا ناشزا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور
محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فيواريانه
فاذا احتاج الانسان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ منه
منصبا مهيأ لانحدار الثفل فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى
نعماؤه فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للانسان فبعضها
حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص

واحد من الصنفين اذ كان محتاجا اليهما جميعا تأمل واعتبر بحسن التدبير في
حلق الشعر والاظفار فانهما لما كان مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه
اولا فاولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الانسان الاخذ منهما ولو كان قص الشعر
وتقليم الاظفار مما يوجد له مس ذلك لكان الانسان من ذلك بين مكروهين
اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم
يتألم منه قال المفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا تزيد فيحتاج الانسان
الى النقصان منه فقال عليه السلام ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما
لا يعرفها فيحمد عليها اعلم ان آلام البدن وادواءه تخرج بخروج الشعر
في مسامه وبخروج الاظفار من اناملها ولذلك امر الانسان بالنورة
وحلق الرأس وقص الاظفار في كل اسبوع ليسرع الشعر والاظفار في النبات
فيخرج الالام والادواء بخروجهما واذا طالا تحيرا وقل خروجهما فاحتبست
الالام والادواء في البدن فاحدثت عللا واوجاعا ومنع مع ذلك الشعر
من المواضع التي يضر بالانسان ويحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في
العين الم يكن سيعمي البصر ولو نبت في الفم الم يكن سيغص على الانسان طعامه
وشرابه ولو نبت في باطن الكف الم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الاعمال
ولو نبت في فرج المراة او على ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع
فانظر كيف تنكب الشعر هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا
في الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وساير المتناسلات فانك
ترى اجسامهن مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه

فتامل الخلقة كيف تحرز وجوه الخطاء والمضرة وياتى بالصواب والمنفعة ان المانية
واشباههم حين اجتهدوا فى عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب
والابطين ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع فينبت فيها
الشعر كما ينبت العشب فى مستنقع المياه افلا ترى الى هذه المواضع استر واهيا
لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعد مما يحمل الانسان من مؤنة هذا البدن
وتكاليفه لما له فى ذلك من المصلحة فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من
الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه اليه الفراغ من
الاشر والبطالة تامل الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجرى جريانا دائما الى الفم
ليبل الحلق واللهوات فلا يجف فان هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه
هلاك الانسان ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاما اذا لم يكن فى الفم بلة تنفذه
تشهد بذلك المشاهدة واعلم ان الرطوبة مطية الغذاء وقد تجرى من هذه
من هذه البلة الى موضع آخر من المرة فيكون فى ذلك صلاح تام للانسان
ولو يبست المرة لهلك الانسان ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة
المتفلسفين بقلة التميز وقصور العلم لو كان بطن الانسان كهيئة القباء يفتحه
الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه الم يكن اصلح
من ان يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه الا بدلالات غامضة
مثل النظر الى البول وحس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى
ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان اول
ما فيه انه كان يسقط عن الانسان الوجل من الامراض والموت وكان يستشعر البقاء

ويغتر

ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك الى العتو والاشر ثم كانت الرطوبات التى فى البطن
تترشح وتتحلب فيفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب بذلته وزينته
بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل افعالها
بالحرارة الغريزية التى جعلها محتبسة فى الجوف فلو كان فى البطن فرج تنفتح
حتى يصل البصر الى رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمازج
الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء فكان فى ذلك هلاك الانسان افلا
ترى ان كلما تذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطاء وخطل
فكر يا مفضل فى الافعال التى جعلت فى الانسان من الطعم والنوم والجماع
وما دبر فيها فانه جعل لكل واحد منها فى الطباع نفسه محركا يقتضيه ويستحث
به فالجوع يقتضى الطعم الذى به حياة البدن وقوامه والكرى يقتضى النوم
الذى فيه راحة البدن واجمام قواه والشبق يقتضى الجماع الذى فيه دوام
النسل وبقاؤه ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام لمعرفته بحاجة
بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك كان خليقا ان يتوانى عنه
احيانا بالتثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء
لشىء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك
لو كان انما يصير الى النوم بالتفكر فى حاجته الى راحة البدن واجمام قواه كان عسى
ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك للجماع بالرغبة
فى الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل او ينقطع فان من الناس من لا
يرغب فى الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الافعال التى بها

قوام الانسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحيده عليه واعلم
ان في الانسان قوى اربعا قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة
ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطحنه
وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل
الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها ففكر في تقدير هذه القوى الاربعة التي
في البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والارب فيها وما في ذلك
من التدبير والحكمة ولولا الجاذبة كيف يتحرك الانسان لطلب الغذاء
التي بها قوام البدن ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى
تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي
يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة
يندفع ويخرج اولا فاولا افلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن
تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسامثل لك في ذلك
مثالا ان البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم وصبية وقوام موكلون
بالدار فواحد لاقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه
الى ان يعالج ويهيا وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه وآخر لتنظيف ما في
الدار من الاقذار واخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين
والدار هي البدن والحشم هي الاعضاء والقوام هي هذه القوى الاربع ولعلك
ترى ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزدادا
اوليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الاطباء ولا قولنا

هذ

فيه كقولهم لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه في صناعة الطب وتصحيح الابدان
وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي اوضحته
بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها تامل يا مفضل
هذه القوى التي في النفس وموقعها من الانسان اعني الفكر والوهم والعقل
والحفظ وغير ذلك افرايت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده
كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في اموره ومعاشه و
تجاربه اذا لم يحفظ ما له وعليه وما اخذه وما اعطى وما راى وما سمع وما قال
وما قيل له ولم يذكر من احسن اليه ممن اساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي
لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد دينا ولا
ينتفع بتجربة ولا يستطيع ان يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقا ان ينسلخ
من الانسانية اصلا فانظر الى النعمة على الانسان في هذه الخلال وكيف موقع
موقع الواحدة منها دون الجميع واعظم من النعمة على الانسان في الحفظ
النعمة في النسيان فانه لولا النسيان لما سلا احد عن مصيبة ولا انقضت
له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات
ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد افلا ترى كيف جعل في الانسان
الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة
وما عسى ان يقول الذين قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشياء
المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة انظر
يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره

نحراه طلب بهرا وی فا

جمع العدة كالصفات
جمع الصنو والهبات
جمع الهبة ١٢
تتكبّه اى تحنبه منه
اى ازاله نه ازم وستعدو

العظيم غناءه اعنى الحياء فلولاه لم يُقرَ ضيفٌ ولم يُوفَ بالعداة ولم تُقض
الحوائج ولم يُتحرَّ الجميل ولم يَتنكّب القبيح فى شى من الاشياء حتى ان كثيرا
من الامور المفترضة ايضا انما يفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم
يَرعَ حقّ والديه ولم يَصِل ذا رحم ولم يؤد امانة ولم يعفّ عن فاحشة افلا
ترى كيف وفّى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه وتمام امره تامل
يا مفضّل ما انعم الله تقدست اسماءه به على الانسان من هذا النطق الذى
يعبّر به عما فى ضميره وما يخطر بقلبه وينتجه فكره به يفهم عن غيره ما فى نفسه ولولا
ذلك لكان بمنزلة البهايم المهملة التى لا تخبر عن نفسها بشى ولا تفهم عن مخبر شيئا
وكذلك الكتابة التى بها تقيّدت اخبار الماضين للباقين واخبار الباقين
للآتين وبها تخلد الكتب فى العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الانسان
ذكر ما يجرى بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع اخبار
بعض الازمنة عن بعض واخبار الغائبين عن اوطانهم ودرست العلوم و
ضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل فى امورهم ومعاملاتهم
وما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم وما روى لهم مما لا يسعهم جهله و
لعلك تظن انها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما اعطيه الانسان
من خلقه وطباعه وكذلك الكلام انما هو شى يصطلح عليه الناس فيجرى
بينهم ولهذا صار يختلف فى الامم المختلفة بالسن مختلفة وكذلك الكتابة
ككتابة العربى والسريانى والعبرانى والرومى وغيرها من ساير الكتابة التى
هى متفرقة فى الامم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادّعى

ذلك

ذلك

ان الانسان وان كان له فى الامرين جميعا فعل او حيلة فان الشى الذى يبلغ به
ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عزّ وجل له فى خلقه فانه لو لم يكن
له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدى به للامور لم يكن ليتكلم ابدا ولو لم يكن
له كف مهيئة واصابع للكتابة لم يكن ليكتب ابدا واعتبر ذلك من البهايم
التى لا كلام لها ولا كتابة فاصل ذلك فطرة البارى جل وعز وما تفضل
به على خلقه فمن شكر اثيب ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فكر يا مفضّل
فيما اعطى الانسان علمه وما منع فانه اعطى علم جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه
فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلايل والشواهد القائمة
فى الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين
واداء الامانة ومواساة اهل الخلة واشباه ذلك مما قد توجد معرفته
والاقرار والاعتراف به فى الطبع والفطرة من كل امة موافقة او مخالفة
وكذلك اعطى علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراس واستخراج الارضين
واقتناء الاغنام والانعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التى يستشفى
بها من ضروب الاسقام والمعادن التى يستخرج منها انواع الجواهر وركوب
السفن والغوص فى البحر وضروب الحيل فى صيد الوحش والطير والحيتان
والتصرف فى الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول
شرحه ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره فى هذه الدار فاعطى علم ما يصلح
به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس فى شانه ولا طاقته ان يعلم
كعلم الغيب وما هو كائن وبعض ما قد كان ايضا كعلم ما فوق السماء وما تحت

اقتناء الصيد تكسبه لك
العقاقير اصول الادوية
احدها عقار

كعلم

الارض وما فی لجج البحار واقطار العالم وما فی قلوب الناس وما فی الارحام واشباه
هذا مما حجب علی الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس هذه الامور فابطل
دعواهم ما یبیّن من خطائهم فیما یقضون علیه ویحکمون به فیما ادعوا علمه فانظر
کیف اعطی الانسان علم جمیع ما یحتاج الیه لدینه ودنیاه وحجب عنه ما سوی ذلک
لیعرف قدره ونقصه وکلا الامرین فیهما صلاحه تامل الآن یا مفضل
ما ستر عن الانسان علمه من مدة حیاته فانه لو عرف مقدار عمره وکان قصیر العمر
لم یتهنا بالعیش مع ترقب الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل کان یکون
بمنزلة من قد فنی ماله او قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء
ماله وخوف الفقر علی ان الذی یدخل علی الانسان من فناء العمر اعظم مما یدخل
علیه من فناء المال لان من یقل ماله یامل ان یستخلف منه فیسکن الی ذلک ومن
ایقن بفناء العمر استحکم علیه الیاس وان کان طویل العمر ثم عرف ذلک وثق
بالبقاء وانهمک فی اللذات والمعاصی وعمل علی انه یبلغ من ذلک شهوته
ثم یتوب فی آخر عمره وهذا مذهب لا یرضاه الله من عباده ولا یقبله الا تری
لو ان عبدا لک عمل علی انه یسخطک سنة ویرضیک یوما او شهرا لم تقبل ذلک
منه ولم یحل عندک محل العبد الصالح دون ان یضمر طاعتک ونصحک فی
کل الامور فی کل الاوقات علی تصرف الحالات فان قلت اولیس قد یقیم الانسان
علی المعصیة حینا ثم یتوب فیقبل توبته قلنا ان ذلک شیء یکون من الانسان
لغلبة الشهوات له وترکه مخالفتها من غیر ان یقدرها فی نفسه ویبنی علیه امره
فیصفح الله عنه ویتفضل علیه بالمغفرة فاما من قدر امره علی ان یعصی ما بدا له

ثم یتوب آخر ذلک فانما یحاول خدیعة من لا یخادع بان یتسلف التلذذ
فی العاجل ویعد ویمنی نفسه التوبة فی الآجل ولانه لا یفی بما یعد من ذلک
فان النزوع من الترفه والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سیما عند الکبر وضعف
البدن امر صعب ولا یؤمن علی الانسان مع مدافعته بالتوبة ان یرهقه الموت
فیخرج من الدنیا غیر تائب کما قد یکون علی الواحد دین الی اجل وقد یقدر
علی قضائه فلا یزال یدافع بذلک حتی یحل الاجل وقد نفد المال فیبقی الدین
قائما علیه فکان خیر الاشیاء للانسان ان یستر عنه مبلغ عمره فیکون طول عمره
یترقب الموت فیترک المعاصی ویؤثر العمل الصالح فان قلت وها هو الآن
قد ستر عنه مقدار حیاته وصار یترقب الموت فی کل ساعة یقارف الفواحش
وینتهک المحارم قلنا ان وجه التدبیر فی هذا الباب هو الذی جری علیه
الامر فیه فان کان الانسان مع ذلک لا یرعوی ولا ینصرف عن المساوی فانما
ذلک من مرحه ومن قساوة قلبه لا من خطاء فی التدبیر کما ان الطبیب قد یصف
للمریض ما ینتفع به فان کان المریض مخالفا لقول الطبیب لا یعمل بما یامره ولا
ینتهی عما ینهاه عنه لم ینتفع بصفته ولم یکن الاساءة فی ذلک للطبیب بل للمریض
حیث لم یقبل منه ولئن کان الانسان مع ترقبه للموت کل ساعة لا یمتنع عن
المعاصی فانه لو وثق بطول البقاء کان احری بان یخرج الی الکبائر الفظیعة
فترقب الموت علی کل حال خیر له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان کان
صنف من الناس یلهون عنه ولا یتعظون به فقد یتعظ به صنف آخر منهم وینزعون
عن المعاصی ویؤثرون العمل الصالح ویجودون بالاموال والعقائل النفیسة

فى الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل ان يحرم هولاء الانتفاع (المتعطشين)
بهذه الخصلة ليضيع اولئك حظهم منها فكر يا مفضل فى الاحلام كيف
دبر الامر فيها فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس
كلهم انبياء ولو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت
تصدق احيانا فينتفع بها الناس فى مصلحة يهتدى لها او مضرة يتحذر منها وتكذب كثيرا
لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد فكر فى هذه الاشياء التى تراها موجودة
معدة فى العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات والخشب للسفن
وغيرها والحجارة للارحاء وغيرها والنحاس للاوانى والذهب والفضة للمعاملة
والجوهر للذخيرة والحبوب للغذاء والثمار للتفكه واللحم للماكل والطيب للتلذذ
والادوية للتصحيح والدواب للحمولة والحطب للتوقد والرماد للكلس والرمل للارض
وكم عسى ان يحصى المحصى من هذا وشبهه ارايت لو ان داخلا دخل دارا فنظر الى خزائن
مملوة من كل ما يحتاج اليه الناس وراى كل ما فيها مجموعا معدا لاسباب معروفة
لكان يتوهم ان مثل هذا يكون بالاهمال ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل ان يقول
هذا فى العالم وما اعد فيه من هذه الاشياء اعتبر يا مفضل باشياء
خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه وكلف
طحنه وعجنه وخبزه وخلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه وغزله ونسجه وخلق له
الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لادويته فكلف
لقطها وخلطها وصنعها وكذلك تجد سائر الاشياء على هذا المثال فانظر كيف
كفى الخلقة التى لم يكن عنده فيها حيلة وترك عليه فى كل شى من الاشياء موضع عمل

وحركة

الحلم بضمتين الرؤيا والجمع احلام ق

يحذر

الكلس بالكسر الصاروج ق

استجاز طلب الاجازة اى الاذن ق

لقط اخذه من الارض ق

وحركة لما له فى ذلك من الصلاح لانه لو كفى هذا كله حتى لا يكون له فى الاشياء
موضع شغل وعمل لما حملته الارض اشرا وبطرا ولبلغ به كذلك الى ان يتعاطى امورا
فيها تلف نفسه ولو كفى الناس كل ما يحتاجون اليه لما تهنئوا بالعيش ولا وجدوا
له لذة الا ترى لو ان امرا نزل بقوم فاقام حينا بلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم
ومشرب وخدمة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشىء فكيف لو كان
طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شىء وكان من صواب التدبير فى هذه الاشياء
التى خلقت للانسان ان جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة ولتكفه
عن تعاطى ما لا يناله ولا خير فيه ان ناله واعلم يا مفضل ان راس معاش الانسان
وحياته الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء
اشد من حاجته الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش
والذى يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز لانه يحتاج اليه لشربه
ووضوءه وغسله وغسل ثيابه وسقى انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا
لا يشترى لتسقط عن الانسان المؤنة فى طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذرا
لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان فى ذلك شغل يكفه عما يخرجه اليه
الفراغ من الاشر والعبث الا ترى ان الصبى يدفع الى المؤدب وهو طفل
لم يكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث الذى ربما جنيا
عليه وعلى اهله المكروه العظيم وهكذا الانسان لو خلا من الشغل لخرج
من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر
ذلك عن نشا فى الجدة ورفاهة العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك

اليه اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالاخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك
فانك ترى السرب من الظبا والقطا تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين
الاخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان
فى صفة واحدة والعلة فى ذلك ان الناس محتاجون الى ان يتعارفوا
باعيانهم وحلاهم لما يجرى بينهم من المعاملات وليس يجرى بين البهايم مثل
ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته الا ترى ان التشابه
فى الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه
التوامان تشابها شديدا فتعظم المونة على الناس فى معاملتهما حتى يعطى احدهما
بالاخر ويوخذ احدهما بذنب الاخر وقد يحدث مثل هذا فى تشابه الاشيا
فضلا عن تشابه الصورة فمن لطف لعباده بهذه الدقايق التى لا تكاد تخطر
بالبال حتى وقف بها على الصواب الا من وسعت رحمته كل شى لو رايت تمثال
الانسان مصورا على حايط فقال لك قايل ان هذا ظهر هنا من
تلقاء نفسه لم يصنعه صانع اكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزى به فكيف
ينكر هذا فى تمثال مصور جماد ولا ينكر فى الانسان الحى الناطق لم صارت
ابدان الحيوان وهى تغتذى ابدا لا تنمى بل تنتهى الى غاية من النمو ثم
يقف ولا يتجاوزها لولا التدبير فى ذلك فان من التدبير الحكيم فيها
ان يكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت فى الكبير و
الصغير وصارت تنمى حتى تصل الى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك
دايم لا ينقطع ولو كانت تنمى نموا دايما لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها

حتى

حتى لا يكون بشى منها حد يعرف لم صارت اجسام الانس خاصة تثقل عن
الحركة والمشى ويجفو عن الصناعات اللطيفة الا لتعظيم المونة فيما يحتاج اليه
الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو كان الانسان لا يصيبه الم
ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس اما
ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه فى العافية
وبسط يديه بالصدقة ولو كان لا يالم من الضرب بم كان السلطان يعاقب
الدعار ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات
وبم كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون لطاعتهم افليس هذا توبيخ
لابن ابى العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير والمنانية الذين انكروا
الالم والوجع لو لم يولد من الحيوان الا ذكر فقط او اناث فقط الم يكن
النسل منقطعا وباد مع ذلك اجناس الحيوان فصار بعض الاولاد ياتى
ذكورا وبعضها ياتى اناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمراة
اذا ادركا نبتت لهما العانة ثم نبتت اللحية للرجل وتخلفت عن المراة
لولا التدبير فى ذلك فانه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما ورقيبا على المراة
وجعل المراة عرسا وخولا للرجل اعطى الرجل اللحية لما له من العز والجلالة
والهيبة ومنعها المراة ليبقى لها نضارة الوجه والبهجة التى تشاكل
المفاكهة والمضاجعة افلا ترى الخلقة كيف ياتى بالصواب فى الاشياء
وتتخلل مواضع الخطا فتعطى وتمنع على قدر الارب والمصلحة بتدبير الحكيم
عز وجل قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاى الى الصلوة وقال

بكر الى غدا ان شاء الله فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته مبتهجا بما
اوتيته حامدا لله على ما انعم به على شاكرا لانعمه على ما منحنى بما عرفنيه مولاى
وتفضل به على فبت فى ليلتى مسرورا بما منحنيه محبورا بما علمنيه تم المجلس
الاول ... ويتلوه المجلس الثانى من كتاب الادلة على الخلق والتدبير
والرد على القائلين بالاهمال ومنكرى العمد برواية المفضل عن الصادق
صلوات الله عليه وعلى آبائه قال المفضل فلما كان اليوم الثانى بكرت الى
مولاى فاستوذن لى فدخلت فامرنى بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدبر
الادوار ومعيد الاكوار طبقا عن طبق وعالما بعد عالم ليجزى الذين
اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى عدلا منه تقدست اسماؤه
وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون يشهد بذلك
قوله جل قدسه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره فى نظائر لها فى كتابه الذى فيه تبيان كل شئ ولا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله
عليه وآله انما هى اعمالكم ترد اليكم ثم اطرق هنيئة ثم قال يا مفضل الخلق
حيارى عمهون سكارى فى طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم
يقتدون بصراء عمى لا يبصرون نطقاء بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون
رضوا بالدون وحسبوا انهم مهتدون حادوا عن مدرجة الاكياس
ورتعوا فى مرعى الارجاس الانجاس كانهم من مفاجاة الموت آمنون وعن
المجازاة مزحزحون يا ويلهم ما اشقاهم واطول عناهم واشد بلاهم يوم

لايغنى

لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله قال المفضل فبكيت
لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت ثم قال ابتدئ
لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره ما وضح لك من غيره فكر فى ابنية ابدان الحيوان
وتهيئتها على ما هى عليه فلا هى صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنثنى ولا تتصرف
فى الاعمال ولا هى على غاية اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل ولا تستقل بانفسها
فجعلت من لحم رخو ينثنى تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده
ويضم بعضه الى بعض وعليت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ومن اشباه
ذلك هذه التماثيل التى تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط و
يطلى فوق ذلك بالصمغ فيكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم و
الخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فان جاز ان يكون الحيوان
المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز ان يكون ذلك فى هذه التماثيل
الميتة فان كان هذا غير جائز فى التماثيل فبالحرى ان لا يجوز فى الحيوان وفكر
بعد هذا فى اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس من اللحم والعظم
والعصب اعطيت ايضا السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته فانها لو كانت
عميا صما لما انتفع بها الانسان ولا تصرفت فى شئ من مآربه ثم منعت الذهن
والعقل لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها الكد الشديد وحملها الحمل
الثقيل فان قال قائل انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون
بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمى العقل والذهن فيقال فى جواب ذلك
ان هذا الصنف من الناس قليل فاما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب

من الحمل والطحن وما اشبه ذلك ولا يعرون بما يحتاج اليه منه ثم لو كان الناس
يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الاعمال لانه كان
يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة اناسي وكان هذا العمل
يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشي من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب
الفادح في ابدانهم والضيق والكد في معاشهم فكر يا مفضل
في هذه الاصناف الثلثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل
واحد منها فالانس لما قدروا ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل
هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة وغير ذلك خلقت لهم
اكف كبار ذوات اصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها
هذه الصناعات واكلات اللحم لما قدر ان يكون معايشها من الصيد خلقت لهم
اكف لطاف مدمجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ الصيد ولا تصلح
للصناعات واكلات النبات لما قدر ان يكونوا لا ذات صنعة ولا ذات صيد
خلقت لبعضها اظلاف تقيها خشونة الارض اذا حاول طلب الرعي ولبعضها
حوافر ململمة ذوات قعر كاخمص القدم تنطبق على الارض لتتهيا للركوب و
الحمولة تامل التدبير في خلق اكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات اسنان
حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر ان يكون طعمها
اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك واعينت بسلاح وادوات تصلح للصيد
وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهياة لفعلها ولو كانت
الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لا تحتاج اليه لانها لا تصيد ولا تاكل

اللحم

اللحم ولو كانت السباع ذوات اظلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه اعني السلاح
الذي به تصيد وتتعيش افلا ترى كيف اعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل
صنفه وطبقته بل ما فيه بقاؤه وصلاحه انظر الآن الى ذوات الاربع كيف تراها
تتبع امهاتها مستقلة بانفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية كما يحتاج اولاد الانس
فمن اجل انه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية و
القوة عليها بالاكف والاصابع المهياة لذلك اعطيت النهوض والاستقلال
بانفسها وكذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج
وتلقط حين ينقاب عنها البيض فاما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل
فراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها فصارت
تمج الطعام في افواهها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل
بانفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى
الام على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكل اعطي بقسط من تدبير
الحكيم اللطيف الخبير انظر الى قوائم الحيوان كيف تاتي ازواجا لتتهيا للمشي
ولو كانت افرادا لم تصلح لذلك لان الماشي ينقل قوائمه ويعتمد على بعض
فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو الاربع ينقل اثنتين
ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان ينقل قائمتين
من احد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لما يثبت على الارض
كما لا يثبت السرير وما اشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من
مآخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشى

اما ترى الحمار كيف يذلّ للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعا منعما والبعير
لا يطيقه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي والثور الشديد كيف
كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به والفرس الكريم يركب
السيوف والاسنة بالمواتاة لفارسه والقطيع من الغنم يرعاه رجل واحد
ولو تفرقت الغنم فاخذ كل واحد منها فى ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الاصناف
المسخرة للانسان فبم كانت كذلك الا بانها عدمت العقل والروية فانها لو كانت
تعقل وتروى فى الامور كانت خليقة ان تلتوى على الانسان فى كثير من مآربه
حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه
هذا من الامور وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت
على الناس كانت خليقة ان تجتاحهم فمن كان يقوم للاسد والذئاب والنمورة
والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس افلا ترى كيف حجر ذلك عليها
وصارت مكان ما كان يتخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن وتحجم عنها ثم
لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل فهو مع صولتها كالخائف للانس
بل مقموعة ممنوعة منهم ولولا ذلك لساورتهم فى مساكنهم وضيقت عليهم
ثم جعل فى الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ
له فهو ينتقل على الحيطان والسطوح فى ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه وذب
الذعار عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونه ودون
ماشيته وماله ويالفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة فلم طبع
الكلب على هذا الالف الا ليكون حارسا للانسان له عين بانياب ومخالب و

نباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنب المواضع التى يحميها ويحظرها
يا مفضل تامل وجه الدابة كيف هو فانك ترى العينين شاخصتين امامها
لتبصر ما بين يديها لئلا تصدم حائطا او تتردى فى حفرة وترى الفم مشقوقا
شقا فى اسفل الخطم ولو شق كمكان الفم من الانسان فى مقدم الذقن لما
استطاع ان يتناول به شيئا من الارض الا ترى ان الانسان لا يتناول الطعام
بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الآكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها
العلف جعل خطمها مشقوقا من اسفله لتقبض به على العلف ثم تقضمه واعينت
بالجحفلة تتناول بها ما قرب وما بعد اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة
الطبق على الدبر والحياء جميعا يواريهما ويسترهما ومن منافعها فيه ان ما بين
الدبر ومراقى البطن منها وضر يجتمع عليه الذباب والبعوض فجعل لها الذنب
كالمذبة تذب بها عن ذلك الموضع ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه
وتصريفه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع بأسرها وشغلت المقدمتان
بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها فى تحريك الذنب راحة وفيه منافع
اخرى يقصر عنها الوهم يعرف موقعها فى وقت الحاجة اليها فمن ذلك ان الدابة
ترتطم فى الوحل فلا يكون شىء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفى
الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها فى مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحا
مبطوحا على قوائمها الاربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها بارزا من ورائها
ليتمكن الفحل من ضربها ولو كان باسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم
يتمكن الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان ياتيها كفاحا كما ياتى الرجل المرأة

تامل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه ولولا ذلك ما استطاع ان يتناول شيئا من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كساير الانعام فلما عدم العنق اعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدمه ما يقوم مقامه الا الرؤف بخلقه وكيف يكون هذا بالاهمال كما قالت الظلمة فان قال قايل فما باله لم يخلق ذا عنق كساير الانعام قيل له ان راس الفيل واذنيه امر عظيم وثقل ثقيل ولو كان ذلك على عنق عظيمة لهدها واوهنها فجعل راسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفنا وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته انظر الان كيف حياء الانثى من الفيلة في اسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه الخلة ليتهيا للامر الذي فيه قوام النسل ودوامه فكر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فراسها راس فرس وعنقها عنق جمل واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء تنزو على بعض السايمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من اصناف شتى وهذا جهل من قايله وقلة معرفته بالباري جل قدسه وليس

كل

كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه كما يلقح الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل ويلقح الذيب الضبع فيخرج بينهما السمع على انه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل واظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فانك ترى راسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسطا بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار وشحيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شي وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من اعضائها في ايها شاء ويفرق ما شاء منها في ايها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شي اراده جل وتعالى فاما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في غياطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها اطراف تلك الاشجار فتتقوت من ثمارها تامل خلق القرد وشبهه بالانسان في كثير من اعضائه اعني الراس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك احشاؤه شبيهة ايضا باحشاء الانسان وخص مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سايسه ما يومي اليه ويحكي كثيرا مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمايله في التدبير في خلقته

على ماهي عليه ان يكون عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهايم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب وانه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهايم على ان في جسم القرد فضولا اخرى يفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان يلحق بالانسان لو اعطى مثل ذهن الانسان عقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالصحة وهو النقص في العقل والذهن والنطق انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهايم كيف كسيت اجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الآفات والبست الاظلاف والحوافر والاخفاف ليقيها من الحفا اذ كانت لا ايدي لها ولا اكف ولا اصابع مهياة للغزل والنسج فكفوا بان جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها والاستبدال بها فاما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهياة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما يخرج اليه الكفاية ومنها انه يستريح الى خلع كسوته ولبسها اذا شاء ومنها ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم ومنها اقواتهم واقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهايم مقام الكسوة والاظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذا

فكر

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهايم فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم والا فاين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شي وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قايل انها اكثر من الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحارى والجبال من اسراب الظبا والمها والحمير والوعول والايايل وغير ذلك من الوحوش واصناف السباع من الاسد والضباع والذياب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك اسراب الطير من الغربان والقطا والاوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص او يفترسه سبع فاذا احسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولولا ذلك لامتلأت الصحارى منها حتى تفسد رايحة الهواء ويحدث الامراض والوباء فانظر الى هذا الذي يخلص اليه الناس وعملوه بالتمثيل الاول الذي مثل لهم كيف جعل طبعا واذكارا في البهايم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الامراض والفساد فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهايم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفا من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز احد من خلقه لا بعقل وروية ان الايل ياكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من ان يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمة من الوعل الظما الغالب خوفا من المضرة في الشرب

وذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والثعلب اذا اعوزه
الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه
وثب عليها فاخذها فمن اعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة الا من
توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما
يقوى عليه السباع من مساورة الصيد اعين بالدهاء والفطنة والاحتيال
لمعاشه والدلفين يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك ان ياخذ السمك
فيقتله ويشرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى
لا يتبين شخصه فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب اليها فاصطادها
فانظر الى هذه الحيلة كيف جعلت طبعا في هذه البهيمة لبعض المصلحة قال
المفضل فقلت خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب فقال عليه السلام ان السحاب
كالموكل به يختطفه حيثما يثقفه كما يختطف حجر المقناطيس الحديد فهو لا يطلع
راسه في الارض خوفا من السحاب ولا يخرج الا في القيظ مرة اذا صحت السماء
فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه
اذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرته قال المفضل فقلت قد وصفت لي يا مولاي
من امر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة والنمل والطير فقال عليه السلام
يا مفضل تامل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه
صلاحها فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الا من التدبير
القائم في صغير الخلق وكبيره انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده
فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون

الطعام او غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله اما ترى
يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه
قطعا لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى
يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية الا في نشز من الارض كي لا يفيض السيل فيغرقها
فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة لطفا من الله
عز وجل انظر الى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة اسد الذباب
وما اعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع
قريبا منه تركه مليا حتى كانه موات لا حراك به فاذا راى الذباب قد اطمان
وغفل عنه دب دبيبا دقيقا حتى يكون منه بحيث يناله وثبه ثم يثب عليه
فياخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضا
عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيى منه فاما
العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركا ومصيدة للذباب ثم يكمن في
جوفه فاذا انشب فيه الذباب احال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش
بذلك منه فكذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهكذا يحكي صيد الاشراك
والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه
الانسان الا بالحيلة واستعمال الآلات فيها فلا تزدر بالشيء اذا كانت العبرة
فيه واضحة كالذرة والنملة وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء
الحقير فلا يضعه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن
بمثقال من حديد تامل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون

طائرا يطير في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد ليسهل عليه ان يخرق الهواء كيف ما اخذ فيه كما جعل السفينه بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسى كله الريش ليداخله الهواء فيقله ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ نقص من خلقه الاسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسحج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الاسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا اعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف الانس صحيحا ويطحن في اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لاثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شي من خلقه مشاكلا للامر الذي قدر ان يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعا وبعضها اسبوعين وبعضها ثلثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح ليتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولاي معنى يحتمل هذه المشقه وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يأمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله يشهد

بانه

بانه معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره انظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى بل تنبعث وتنتفخ وتقوقي وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة على ذلك اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المخ الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق فبعضه لينتشر منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير فانه لو كان نشو الفرخ في تلك القشرة المستحصفة التي لا مساغ لشي اليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه منه فكر في حوصلة الطائر وما قدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام الا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فانما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليوعي فيها ما ادرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه الى القانصة على مهل وفي الحوصلة ايضا خلة اخرى فان من الطائر ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب اسهل عليه قال المفضل فقلت ان قوما من المعطلة يزعمون ان اختلاف الالوان والاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط واختلاف مقاديرها

بالمزاج والاهمال فقال يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج
والتدارج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالاقلام كيف يأتي به الامتزاج
المهمل على شكل واحد لا يختلف لو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان
مختلفا تأمل ريش الطير كيف هو فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك
دقاق قد الف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة ثم
ترى ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فيقل
الطائر اذا طار وترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه
الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهو القصبة التي في وسط
الريشة وهو مع ذلك اجوف ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران هل رايت
يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول
ساقيه فانه اكثر ذلك في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه
ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل ما يدب في الماء فاذا راى شيئا مما
يتقوت به خطا خطوات رفيقا حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين كان
يخطو نحو الصيد ليأخذه فيصيب بطنه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق
عنه فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه
مطلبه تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فانك تجد كل طائر طويل
الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه من الارض
ولو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع ان يتناول شيئا من
الارض وربما اعين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه

سهولة

سهولة له وامكانا افلا ترى انك لا تفتش شيئا من الخلقة الا وجدته على غاية
الصواب والحكمة انظر الى العصافير كيف يطلب اكلها بالنهار فهي لا تفقده
ولا هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله
فسبحان من قدر الرزق كيف قوته فلم يجعل مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق
حاجة اليه ولم يجعله مبذولا ينال بالهوينا اذ كان لا صلاح في ذلك
فانه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تتقلب عليه ولا تنقلع عنه حتى
تبشم فتهلك وكان الناس ايضا يصيرون بالفراغ الى غاية الاشر والبطر
حتى يكثر الفساد ويظهر الفواحش اعلمت ما طعم هذه الاصناف من
الطير التي لا تخرج الا بالليل كمثل البوم والهام والخفاش قلت لا يا مولاي
قال ان معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض والفراش
واشباه الجراد واليعاسيب وذلك ان هذه الضروب مبثوثة في الجو
لا يخلو منها موضع واعتبر ذلك بانك اذا وضعت سراجا بالليل في سطح
او عرصة دار اجتمع عليه من هذا شيء كثير فمن اين يأتي ذلك كله الا من القرب
فان قال قائل انه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة
من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفة بالدور
فيقصد اليه مع ان هذه عيانا تتهافت على السراج من قرب فيدل ذلك
على انها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا
خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج
الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذا

الضروب التي عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقة عجيبة
بين خلقة الطير وذوات الاربع بل هو الى ذوات الاربع اقرب وذلك انه
ذو اذنين ناشزتين واسنان ووبر وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي
اذا مشى على اربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو ايضا مما يخرج بالليل
ويتقوت مما يسري في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال قائلون انه
لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين
احديهما خروج ما يخرج منه من الثفل والبول فان هذا لا يكون من غير طعم
والاخرى انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للاسنان فيه معنى وليس
في الخلقة شي لا معنى له واما المآرب فيه فمعروفة حتى ان زبله يدخل في بعض
الاعمال ومن اعظم الارب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل
ثناؤه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة فاما الطاير
الصغير الذي يقال له ابو تمرة فقد عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر
فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة فاها لتبلعه فبينما هو يتقلب
ويضطرب في طلب حيلة منها اذا وجد حسكة فحملها فالقاها في فم الحية
فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب حتى ماتت افرايت لو لم اخبرك بذلك كان
يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة
او يكون من طاير صغير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشياء
يكون فيها منافع لا تعرف الا بحادث يحدث به او خبر يسمع به انظر الى النحل
واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك

من

من دقايق الفطنة فانك اذا تاملت العمل رايته عجيبا لطيفا واذا رايت المعمول
وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل الفيته غبيا
جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على ان الصواب
والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة
الناس انظر الى هذا الجراد ما اضعفه واقواه فانك اذا تاملت خلقه رايته
كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع احد ان يحميه
منه الا ترى ان ملكا من ملوك الارض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد
لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث اضعف خلقه الى
اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل
فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان هذا
مما يصنع بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة كان
يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤودها شي ولا يكثر عليها تامل خلق
السمك ومشاكلته للامر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوائم لانه
لا يحتاج الى المشي اذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية لانه لا يستطيع ان
يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم اجنحة شداد يضرب بها
في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا
متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الافات فاعين بفضل
حس في الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد
فينتجعه والا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخه منافذ فهو يعب

الما بفيه ويرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان
الى تنسم هذا النسيم فكر الآن فی كثرة نسله وما خص به من ذلك فانك ترى
فی جوف السمكة الواحدة من البيض لا يحصى كثرة والعلة فی ذلك ان يتسع
لما يغتذی به من اصناف الحيوان فان اكثرها ياكل السمك حتى ان السباع
ايضا فی حافات الاجام عاكفة على الما ايضا كی ترصد السمك فاذا مر بها
خطفته فلما كانت السباع تاكل السمك والطير ياكل السمك والناس ياكلون
السمك والسمك ياكل السمك كان من التدبير فيه ان يكون على ما هو عليه من
الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر
الى ما فی البحار من ضروب السمك ودواب الما والاصداف والاصناف التی لا
تحصى ولا تعرف منافعها الا الشی بعد الشی يدركه الناس باسباب تحدث مثل
القرمز فانه انما عرف الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطی البحر فوجدت
شيئا من الصنف الذی يسمى الحلزون فاكلته فاختضب خطمها بدمه
فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغا واشباه هذا مما يقف الناس
عليه حالا بعد حال وزمانا بعد زمان قال المفضل حان وقت الزوال فقام
مولای عليه السلام الى الصلوة وقال بكر الی غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد
تضاعف سروری بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما آتانيه فبت
ليلتی مسرورا مبتهجا المجلس الثالث قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت
الى مولای فاستؤذن لی فدخلت فاذن لی بالجلوس فجلست فقال عليه السلام
الحمد لله الذی اصطفانا ولم يصطف علينا اصطفانا بعلمه وايدنا بحلمه

من

من شذ عنا فالنار مأواه ومن تفيا بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت
لك يا مفضل خلق الانسان وما دبر به وتنقله فی احواله وما فيه من الاعتبار
وشرحت لك امر الحيوان وانا ابتدی الآن بذكر السما والشمس والقمر والنجوم
والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الاربعة الارض
والما والهوا والنار والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والمعادن
والنبات والنخل والشجر وما فی ذلك من الادلة والعبر فكر فی لون السما وما
فيه من صواب التدبير فان هذا اللون اشد الالوان موافقة للبصر وتقوية
حتى ان من صفات الاطبا لمن اصابه شی اضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة
وما قرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع
فی اجانة خضراء مملوة ماء فانظر كيف جعل الله جل وتعالى اديم السما
بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المنقلبة عليه فلا ينكا
فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذی ادركه الناس بالفكر والروية
والتجارب يوجد مفروغا منه فی الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون
ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله انی يؤفكون فكر يا مفضل
فی طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتی النهار والليل فلولا طلوعها لبطل
امر العالم كله فلم يكن الناس يسعون فی معايشهم ويتصرفون فی امورهم
والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور
وروحه والارب فی طلوعها ظاهر مستغنی بظهوره عن الاطناب فی ذكره
والزيادة فی شرحه بل تامل المنفعة فی غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس

هدءٍ ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدء والراحة لسكون ابدانهم وجموم حواسهم
وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء
ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته
فى ابدانهم فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن
لهم هدءٌ ولا قرار حرصا على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض
تستحمى بدوام الشمس بضيائها وتحمى كلما عليها من حيوان ونبات فقدّرها
الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لاهل
البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدءوا ويقرّوا
فصار النور والظلمة مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح
العالم وقوامه ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة
الاربعة من السنة وما فى ذلك من التدبير والمصلحة ففى الشتاء تعود الحرارة
فى الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشؤ منه السحاب
والمطر ويشتد ابدان الحيوان وتقوى وفى الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة
فى الشتاء فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج الحيوان للفساد وفى الصيف
يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتهيا
للبناء والاعمال وفى الخريف يصفو الهواء ويرتفع الامراض وتصح الابدان
ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله ويطيب الهواء فيه الى مصالح اخرى
لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام فكر الان فى تنقل الشمس فى البروج
الاثنى عشر لاقامة دور السنة وما فى ذلك من التدبير فهو الدور الذى تصح

الازمنة الاربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف وتستوفيها على
التمام وفى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهى الى
غاياتها ثم تعود فيستانف النشو والنمو الا ترى ان السنة مقدار مسير الشمس
من الحمل الى الحمل فبالسنة واخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم
الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب الناس الاعمار والاوقات الموقتة
للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة
ويقوم حساب الزمان على الصحة انظر الى شروقها على العالم كيف دبّر ان يكون
فانها لو كانت تبزغ فى موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها
ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت
تطلع فى اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال
تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها فى
اول النهار فلا يبقى موضع من المواضع الا اخذ بقسطه من المنفعة منها
والارب التى قدرت له ولو تخلفت مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون
حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء افلا يرى كيف الناس هذه الامور
الجليلة التى لم تكن عندهم فيها حيلة فصارت تجرى على مجاريها لا تعتل ولا تتخلف
عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة
تستعملها العامة فى معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لان دوره لا يستوفى
الازمنة الاربعة ونشو الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه
تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصارت الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون

مرة بالشتاء ومرة بالصيف فكر في انارته في ظلمة الليل والارب في ذلك فانه
مع الحاجة الى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح
في ان يكون الليل ظلمة واحية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لانه ربما
احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقضي الاعمال بالنهار او
لشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن
وقطع الخشب وما اشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم اذا
احتاجوا الى ذلك وانسا للسايرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض
ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم
بالنهار ويمتنعوا من الهدو والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة
في مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه
المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون فكر

يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك
ولا تسير الا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها
فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين احدهما عام مع الفلك نحو المغرب
والاخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحا فالرحا تدور
ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك تتحرك حركتين
مختلفتين احدهما بنفسها فتتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحا
تجذبها الى خلفها فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على ما هي عليه بالاهمال
من غير عمد ولا صانع لها ما منعها ان تكون كلها راتبة او تكون كلها

متنقلة

بعض نسخ
تقضى

رتبت ... لم تكن

متنقلة فان الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن
وتقدير ففي هذا بيان ان مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة
وتقدير وليس باهمال كما تزعم المعطلة فان قال قائل ولم صار بعض النجوم
راتبا وبعضها متنقلا قلنا انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي
يستدل بها من تنقل المتنقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل
على اشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت
كلها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف
بمسير المتنقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على
الارض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط
نظامها والمارب فيها ولساغ لقائل ان يقول ان كينونتها على حال واحدة
توجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها
وما في ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد والتدبير فيها فكر
في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كالثريا والجوزاء
والشعريين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم تكن
لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض
امورهم كمعرفتهم الان بما يكون من طلوع الثور والجوزاء اذا طلعت واحتجابها
اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الاخر لينتفع
الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا واشباهها تظهر
حينا وتحجب حينا لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب

وساغ ظ

الشعريين ظ
الشعوبين ظ ر

لضرب آخر من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدي بها الناس في البر و
البحر للطرق المجهولة وذلك انها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها متى
ارادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاؤوا وصار الامران جميعا على اختلافهما
موجهين نحو الارب والمصلحة وفيها مآرب اخرى علامات ودلالات
على اوقات كثيرة من الاعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر واشياء
مما يحدث في الازمنة من الامطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون
في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد
السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فانها تسير اسرع السير وحثه
ارأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها
بكنه ما هي عليه الم تكن ستخطف الابصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث
احيانا من البروق اذا توالت واضطرمت في الجو وكذلك ايضا لو ان اناسا
كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دورانا حثيثا لحارت ابصارهم حتى
يخروا لوجوههم فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا
تضر في الابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة
في مسيرها وجعل فيها جزءا يسيرا من الضوء ليسد مسد الاضواء اذا لم يكن
قمر ويمكن فيه الحركة اذا احدثت ضرورة كما قد يحدث على المرء فيحتاج الى
التجافي في جوف الليل ولم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع ان يبرح مكانه
فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة
اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا فكر في هذا الفلك

بشمسه

بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على العالم هذا الدوران الدائم
بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة
من التنبيه على الارض وما عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة
كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب ان هذا تقدير مقدر
وصواب وحكمة من مقدر حكيم فان قال قائل ان هذا شيء اتفق ان يكون هكذا
فما منعه ان يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات
فترى كل شيء من آلته مقدرا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة
وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له
لو سمعوه منه فينكر ان يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة
لمصلحة قطعة من الارض انه كان بلا صانع ومقدر ويقدر ان يقول في
هذا الدولاب الاعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها اذهان البشر لصلاح جميع
الارض وما عليها انه شيء اتفق ان يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك
كما يعتل الآلات التي يتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس من
الحيلة في اصلاحه فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت
على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس
عشرة ساعة لا يجاوز ذلك افرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة
او مائتي ساعة الم يكن في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات اما الحيوان
فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام
لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك سيهلكها اجمع

ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى
يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق اصناف
الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى يموت جوعا وتخمد الحرارة
الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات اذا كان
في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم و
يتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه
الازمنة الاربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الابدان التي
عليها بقاؤها وفيها صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتداولهما الابدان لفسدت
واخوت وانتكثت فكر في دخول احدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل
فانك ترى احدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي
كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما على
الاخرى مفاجاة لاضر ذلك بالابدان واسقمها كما ان احدكم لو خرج من
حمام حار الى موضع البرودة لضره ذلك واسقم بدنه فلم جعل الله عز وجل
هذا الترسل في الحر والبرد الا للسلامة من ضرر المفاجاة ولم جرى الامر على
ما فيه السلامة من ضرر المفاجاة لولا التدبير في ذلك فان زعم زاعم ان هذا
الترسل في دخول الحر والبرد انما يكون لابطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط
سئل عن العلة في ابطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الابطاء
ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسئلة ترقى معه
الى حيث رقي من هذا القول حتى استقر على العمد والتدبير لولا الحر لما كانت

الثمار

الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة و لولا
البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الذي يتسع للقوت وما
يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة
وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يولم الابدان ويمضها وفي ذلك عبرة
لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه وانبهك
يا مفضل على الريح وما فيها الست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث
الكرب الذي يكاد ان ياتي على النفوس ويمرض الاصحاء وينهك المرضى ويفسد
الثمار ويعفن البقول ويعقب الوباء في الابدان والآفة في الغلات ففي
هذا بيان ان هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن
الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء و
الهواء يؤديه الى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول
نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب
في القرطاس لامتلاء العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم وكانوا يحتاجون في
تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس لان ما يلقى
من الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا
خفيا يحمل الكلام ريث ما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى فيعود جديدا نقيا ويحمل
ما حمل ابدا بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه
من المصالح فانه هذه الابدان والممسك لها من داخل بما تستنشق منه ومن
خارج بما تباشر من روحه وفيه تطرد هذه الاصوات فيؤدي بها من البعد

حياة

وهو الحامل لهذه الارايح ينقلها من موضع الى موضع الا ترى كيف تاتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يعتقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الاجسام وتزجي السحاب من موضع الى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر وتسير السفن وترخي الاطعمة وتبرد الماء وتشب النار وتجفف الاشياء الندية وبالجملة انها تحيى كلما في الارض فلولا الريح لذوى النبات ومات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت فكر

فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع ما يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم وحطبهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي ماوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال باوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصورا وجنانا بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا حزبه امر يضطره الى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطنا مستقرا للاشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوءهم والاتقان لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة

متكفئة لم يكونوا يستطيعون ان يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل كانوا لا يتهنئون بالعيش والارض ترتج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم والمهرب عنها فان قال قائل فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له ان الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليرعووا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب والعوض في الاخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا اذا كان ذلك في الدنيا صلاحا للعامة والخاصة ثم ان الارض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة افرايت لو ان اليبس افرط على الارض قليلا حتى تكون حجرا صلدا اكانت تنبت هذا النبات الذي به حيوة الحيوان وكان يمكن بها حرث او بناء افلا ترى كيف تنصب من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة ولتتهيا للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الارض ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك الا لينحدر المياه على وجه الارض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك الى البحر فكانما رفع احد جانبي السطح وخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الارض فكان يمنع الناس من اعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والاودية

والانهار لضاق عما يحتاج الناس اليه لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقي
زروعهم واشجارهم واصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير
والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع اخر انت بها عارف
وعن عظم موقعها غافل فانه سوى الامر الجليل المعروف من غنائه في احياء
جميع ما على الارض من الحيوان والنبات يمزج الاشربة فتلين وتطيب لشاربها
وبه تنظف الابدان والامتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح
للاعتمال وبه يكف عادية النار اذا اضطرمت واشرف الناس على المكروه و
به يسيغ المتعب الكال فيجد الراحة من اوصابه الى اشباه هذا من المآرب التي
تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة اليها فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير
المتراكم في البحار وقلت ما الارب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من
اصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر واصناف شتى
تستخرج من البحر وفي سواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب
والعقاقير ثم هو بعد مركب الناس ومحمل هذه التجارات التي تجلب من البلدان
البعيدة كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى العراق فان
هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت وبقيت في بلدانها وايدي
اهلها لان اجر حملها كان يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها وكان يجتمع
في ذلك امران احدهما فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والآخر انقطاع
معاش من يحملها ويتعيش بفضلها وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق
هذا الانام من الدخان والبخار التي يتحير فيه ويعجز عما يحول الى السحاب والضباب

اولا

اولا اولا وقد تقدم من صفته ما فيه كفاية والنار ايضا كذلك فانها لو لم تكن
مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولم يكن بد من ظهورها
في الاحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الاخشاب تلتمس
عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج الى بقائها لئلا تخبوا
فلا هي تمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤنة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة
تحرق كلما هي فيه بل هي على تهيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها و
السلامة من ضررها ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص به الانسان دون جميع
الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر
في معاشه فاما البهائم فلا تستعمل النار ولا تستمتع بها ولما قدر الله عز وجل
ان يكون هذا هكذا خلق للانسان كفا واصابع مهيأة لقدح النار واستعمالها
ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش
لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الانسان وانبئك من منافع النار على خلقة
صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به
حوائجهم ما شاؤا من ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تصرف اعمارهم بمنزلة
من في القبور فمن كان يستطيع ان يكتب او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت
حال من عرض له وجع في وقت من اوقات الليل فاحتاج ان يعالج ضمادا او سفوفا
او شيئا يستشفي به فاما منافعها في نضج الاطعمة ودفاء الابدان وتجفيف اشياء
وتحليل اشياء واشباه ذلك فاكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى فكر يا مفضل
في الصحو والمطر كيف يتعقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما

عليه كان في ذلك فساده الا ترى ان الامطار اذا توالت عفنت البقول والخضر
واسترخت ابدان الحيوان وحسر الهواء فاحدث ضروبا من الافساد مراض وفسدت
الطرق والمسالك وان الصحو اذا دام جففت الارض واحرق النبات وغيض ماء
العيون والاودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فاحدث ضروبا
اخرى من الامراض فاذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل
واحد منهما عادية الآخر فصلحت الاشياء واستقامت فان قال قائل ولم لا يكن
في شي من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك للانسان ويولمه بعض الالم فيرعوي
عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الادوية المرة البشعة لتقوم
طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك اذا طغى واشر احتاج الى ما يعضه ويولمه ليرعوي
ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه حظه ورشده ولو ان ملكا من الملوك قسم
في اهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم عندهم ويذهب له الصوت
فاين هذا من مطرة رواء اذ تعمر به البلاد ويزيد في الغلات اكثر من قناطير
الذهب والفضة في اقاليم الارض كلها افلا ترى المطرة الواحدة ما اكبر قدرها
واعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن احدهم حاجة
لا قدر لها فيذمر ويسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه جميل المحمود العاقبة
وقلة معرفة العظيم الغناء والمنفعة فيها تامل نزوله على الارض والتدبير
في ذلك فانه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو
كان انما ياتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع
في الارض الا ترى ان الذي يزرع سيحا اقل من ذلك فالامطار هي التي تطبق الارض

وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة
الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤنة سياق الماء من موضع
الى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستاثر بالماء
ذو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء ثم انه حين قدر ان يتحدر على الارض
انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغوص في قعر الارض فيرويها ولو كان
يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع
ويحيي الارض والزرع القائم وفي نزوله ايضا مصالح اخرى فانه يلين الابدان
ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل ما يسقط على الشجر
والزرع من الداء المسمى اليرقان الى اشياء هذا من المنافع فان قال
قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع
منه او برد يكون فيه يحطم الغلات وبخورة يحدثها في الهواء فيولد كثيرا
من الامراض في الابدان والآفات والعلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط
لما فيه من صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون
المنفعة فيما يصلح له من دينه ارجح مما عسى ان يرضى في ماله انظر
الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون
فضلا لا حاجة اليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان يسقط عليها الثلوج
فيبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون
الغزيرة التي يجتمع منها الانهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات
والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش

من السباع العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء وينحت
منها الحجارة للبناء والأرحاء ويوجد فيها معادن لضروب من الجواهر وفيها
خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه فكر يا مفضل في هذه
المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين و
الزرنيخ والمرتك والقونيا والزيبق والنحاس والرصاص والفضة والذهب
والزبرجد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها
من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في
مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه
الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا
من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من
هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب
ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء و
البيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب
وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة
من الرصاص والذهب من الفضة وأشباه ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف
أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه ومن
أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره
ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة تفكر الآن في هذا
من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يري العباد بقدرته وسعة

خزائنه

المرتك كمقعد المرداسنج

القار القير

الشبه نحاس اصفر

خزائنه ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم
في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة
انتفاعهم به واعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الظريف مما يحدثه
الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ
الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة
الأشياء من عزتها فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب
المآرب فالثمار للغذاء والأتبان للعلف والحطب للوقود والخشب لكل
شيء من أنواع النجارة وغيرها واللحاء والورق والأصول والعروق و
الصموغ لضروب من المنافع أرأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها
مجموعة على وجه الأرض ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم
يدخل علينا من الخلل في معاشنا وإن كان الغذاء موجودا فإن المنافع
بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيمة قدرها
جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته
التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه فكر يا مفضل في هذا
الريع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر
وأقل وكان يجوز أن تكون الحبة تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع
إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر وما يتقوت الزراع
إلى إدراك زرعها المستقبل ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من
البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم

في هذا المكان

الى ادراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم فى تدبير الحكم فصار
الزرع يريع هذا الريع ليفى بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر
والنبت والنخل يريع الريع الكثير فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه
امر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه فى مآربهم
وما يرد فيغرس فى الارض ولو كان الاصل منه يبقى منفردا لا يفرخ ولا يريع
لما امكن ان يقطع منه شى لعمل ولا لغرس ثم كان ان اصابته آفة انقطع اصله
فلم يكن منه خلف تامل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء
وما اشبه ذلك فانها تخرج فى اوعية مثل الخرايط لتصونها وتحجبها من الآفات
الى ان تشتد وتستحكم كما قد يكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه فاما البر
وما اشبهه فانه يخرج مدرجا فى قشور صلاب على رؤسها امثال الاسنة من
السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل او ليس قد ينال الطير
من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الامر فيها لان الطير خلق من خلق الله
وقد جعل الله تبارك وتعالى له فيما تخرج الارض حظا ولكن حصنت الحبوب
بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث فيها ويفسد الفساد الفاحش
فان الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شى يحول دونه لاكب عليه حتى ينسفه
اصلا فكان يعرض من ذلك ان يبشم الطير فيموت ويخرج الزراع من زرعه صفرا
فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه فينال الطاير منه شيئا يسيرا يتقوت
به ويبقى اكثره للانسان فانه اولى به اذا كان هو الذى كدح فيه وشقى به
وكان الذى يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير تامل الحكمة فى خلق الشجر واصناف

الخرايط وعاء من ادم وغيره يشرج على ما فيها

نسفت البناء بنسفه قلعه

الكدح العمل والسعى

النبات فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدايم كحاجة الحيوان ولم يكن لها افواه
كافواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة
فى الارض لتنتزع منها الغذاء فتؤديه الى الاغصان وما عليها من الورق
والثمر فصارت الارض كالام المربية لها وصارت اصولها التى هى كالافواه
ملتقمة للارض لتنتزع منها الغذاء كما يرضع اصناف الحيوان امهاتها الا ترى
الى عمد الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من كل جانب لتثبت منتصبة
فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة فى الارض ممتدة الى كل
جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام
فى الريح العاصف فانظر الى حكمة الخلقة كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة
التى تستعملها الصناع فى ثبات الفساطيط والخيم متقدمة فى خلق الشجر لان خلق
الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم الا ترى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة
ماخوذة من الخلقة تامل يا مفضل خلق الورق فانك ترى الورقة شبه العروق
مبثوثة فيها اجمع فمنها غلاظ ممتدة فى طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل
تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان مما يصنع بالايدى كصنعة البشر
لما فرغ من ورق شجرة واحدة فى عام كل ولاحتيج الى آلات وحركة وعلاج
وكلام فصار يأتى منه فى ايام قلايل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع
الارض كلها بلا حركة ولا كلام الا بالارادة النافذة فى كل شى والامر المطاع
واعرف مع ذلك العلة فى تلك العروق الدقاق فانها جعلت تتخلل الورقة
باسرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة فى البدن لتوصل

الفسطاط بالضم السرادق

الدوحة شجر عظام والجمع دوح

العمود معروف والجمع اعمدة وعمد وعُمُد

العود الخشب والجمع عيدان واعواد

الغذاء الى كل جزء منه وفى الغلاظ منها معنى آخر فانها تمسك الورق بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورق شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة فى طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكى الخلقة وان كانت لا تدركها على الحقيقة فكر فى هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل فى جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشى النفيس الذى تعظم الحاجة اليه فى مواضع اخر فان حدث على الذى فى بعض المواضع منه حادث وجد فى موضع آخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت واسرع اليها الفساد وبعضه يوكل ويستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موضع الارب فى العجم والنوى فكر الآن فى هذا الذى تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه ولماذا يخرج فى هذه الهيئة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون فى السرو والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان فكر فى ضروب من التدبير فى الشجر فانك تراه يموت فى كل سنة موتة فيحتبس الحرارة الغريزية فى عوده ويتولد فيه مواد الثمار ثم يحيا وينتشر فيأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم اليك انواع الاطبخة التى تعالج بالايدى واحدا بعد واحد فترى الاغصان فى الشجر تتلقاك بثمارها حتى كانها تناولكها عن يد وترى الرياحين تتلقاك فى افنانها كانها تجيئك بانفسها فلمن هذا التقدير

تفكر

الا لمقدر حكيم وما العلة فيه الا ان يتفكه الانسان بهذه الثمار والانوار والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من اثر العمد والتدبير فانك ترى فيها كامثال التلال من شحم مركوم فى نواحيها وحبا مرصوفا رصفا كنحو ما ينضد بالايدى وترى الحب مقسوما اقساما وكل قسم منها ملفوفا بلفايف من حجب منسوجة اعجب النسج والطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير فى هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان اصول الحب مركوزة فى ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفايف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشى فوق ذلك المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع فى الكلام ولكن فيما ذكرت لك كفاية فى الدلالة والاعتبار فكر يا مفضل فى حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما فى ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الارض ولو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولينقصف قبل ادراكها وانتهائها الى غاياتها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشا للارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه كانه هرة ممتدة وقد اكتنفتها اجراؤها لترضع منها وانظر كيف صارت

الاصناف توافی فی الوقت المشاکل لها من حرارة الصیف و وقدة الحر فتلقاها النفوس
بانشراح وتشوق الیها ولو کانت توافی فی الشتاء لوافقت من الناس کراهة لها
واقشعرارا منها مع ما یکون فیها من المضرة للابدان الا تری انه ربما ادرک شی
من الخیار فی الشتاء فیمتنع الناس من اکله الا الشره الذی لا یمتنع من اکل ما یضره
ویستوخم مغبته فکر **یا مفضل** فی النخل فانه لما صار فیه اناث یحتاج الی
التلقیح جعلت فیه ذکورة للقاح من غیر غراس فصار الذکر من النخل بمنزلة
الذکر من الحیوان الذی یلقح الاناث لتحمل وهو لا یحمل تامل خلقة الجذع کیف هو
فانک تراه کالمنسوج نسجا من غیر خیوط ممدودة کالسدی واخری معه معترضة
کاللحمة کنحو ما ینسج بالایدی وذلک لیشتد ویصلب ولا ینقصف من حمل القنوان
الثقیلة وهز الریاح العواصف اذا صار نخلة ولیتهیا للسقوف والجسور وغیر
ذلک مما یتخذ منه اذا صار جذعا وکذلک تری الخشب مثل النسج فانک تری
بعضه مداخلا بعضا طولا وعرضا کتداخل اجزاء اللحم وفیه مع ذلک متانة
لیصلح لما یتخذ منه من الالات فانه لو کان مستحصفا کالحجارة لم یمکن ان
یستعمل فی السقوف وغیر ذلک مما یستعمل فیه الخشبة کالابواب والاسرة و
التوابیت وما اشبه ذلک ومن جسیم المصالح فی الخشب انه یطفو علی الماء
فکل الناس یعرف هذا منه ولیس کلهم یعرف جلالة الامر فیه فلولا هذه الخلة
کیف کانت هذه السفن والاظراف تحمل امثال الجبال من الحمولة وانی کان
ینال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة فی حمل التجارات من بلد الی بلد وکانت
تعظم المؤنة علیهم فی حملها حتی یلقی کثیر مما یحتاج الیه فی بعض البلدان مفقودا

اصلا

اصلا او عسرا وجوده فکر فی هذه العقاقیر وما خص بها کل واحد منها من العمل
فی بعض الادواء فهذا یغوص فی المفاصل فیستخرج الفضول الغلیظة مثل
الشیطرج وهذه ینزف المرة السوداء مثل الافتیمون وهذا ینفی الریاح
مثل السکبینج وهذا یحلل الاورام واشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه
القوی فیها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس بها الا من جعل هذا فیها ومتی
کان یوقف علی هذا منها بالعرض والاتفاق کما قال قائلون وهب الانسان
فطن لهذه الاشیاء بذهنه ولطیف رویته وتجاربه فالبهائم کیف فطنت
لها حتی صار بعض السباع یتداوی من جراحه ان اصابته ببعض العقاقیر
فیبرا وبعض الطیر یحتقن من الحصر یصیبه بماء البحر فیسلم واشباه هذا
کثیر ولعلک تشکک فی هذا النبات النابت فی الصحاری والبراری حیث
لا انس ولا انیس فتظن انه فضل لا حاجة الیه ولیس کذلک بل هو طعم
لهذه الوحوش وحبه علف للطیر وعوده وافنانه حطب فیستعمله الناس
و فیه بعد اشیاء تعالج به الابدان واخری تدبغ به الجلود واخری تصبغ
الامتعة واشباه هذا من المصالح الست تعلم ان من اخس النبات واحقره
هذا البردی وما اشبهها ففیها مع هذا من ضروب المنافع فقد یتخذ
من البردی القراطیس التی یحتاج الیها الملوک والسوقة والحصر التی یستعملها
کل صنف من الناس ویعمل منه الغلف التی یوقی بها الاوانی ویجعل حشوا
بین الظروف فی الاسفاط لکیلا تعیب وتنکسر واشباه هذا من المنافع فاعتبر
بما تری من ضروب المارب فی صغیر الخلق وکبیره وغالی قیمته وما لا قیمة له واخس

كتابخانه آستان قدس

من هذا واحقر الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا و
موقعها من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى ان
كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس
ويكرهون الدنو منه واعلم انه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان
مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق
العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبوا الكيميا لما في
العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا بها قال المفضل وحان وقت
الزوال فقام مولاي الى الصلوة وقال بكّر الي غدا ان شاء الله فانصرفت وقد
تضاعف سروري بما عرّفنيه مبتهجا بما آتانيه حامدا الله على ما منحنيه فبتّ
ليلتي مسرورا

المجلس الرابع

قال المفضل فلما كان اليوم الرابع بكرت
الى مولاي فاستوذن لي فامرني بالجلوس فجلست فقال عليه السلام منا التحميد و
التسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الاقدم والنور الاعظم العلي العلام
ذي الجلال والاكرام ومنشئ الانام ومفني العوالم والدهور وصاحب
السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون وصلواته
وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي ابتعثه بشيرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حيّ عن بينة فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات
الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين
ابد الآبدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقه قد شرحت لك يا مفضل

من

تسميد الارض ان يطرح فيها السماد وهو ... [marginal note, partly illegible]

كتابخانه آستان قدس

من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الانسان والحيوان و
والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الآن الآفات
الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها اناس من الجهال ذريعة الى جحود الخلق
والخالق والعمد والتدبير وما انكرت المعطلة والمنانية من المكاره والمصائب
وما انكروه من الموت والفناء وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان كون
الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله انى
يؤفكون اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الازمان كمثل
الوباء واليرقان والبرد والجراد ذريعة الى جحود الخلق والتدبير والخالق
فيقال في جواب ذلك انه ان لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو اكثر من هذا
وافظع فمن ذلك ان يسقط السماء على الارض وتهوي الارض فتذهب سفلا
وتتخلف الشمس عن الطلوع اصلا وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد
ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض
فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك
ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الاحايين ثم
لا تلبث ان ترفع افلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة
التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع احيانا بهذه الآفات
اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند
القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة وقد انكرت
المعطلة ما انكرت المنانية من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما

تهوي الشيء سقط كالهوي ق

الجوح الاستيصال احتجت الشيء اجوحه ومنه الجائحة وهي الشدة التي تجتاح المال من سنة او فتنة صح

البوار الهلاك وكساد السوق كالبوار فيهما ق

لذعة النار لذعا احرقته والمراد ... [marginal note, partly illegible]

يقول ان كان للعالم خالق رؤف رحيم فلم يحدث فيه هذه الامور المكروهة
والقائل بهذا القول يذهب به الى انه ينبغى ان يكون عيش الانسان فى هذه
الدنيا صافيا من كل كدر ولو كان هكذا كان الانسان سيخرج من الاشر
والعتو الى ما لا يصلح فى دين ودنيا كالذى ترى كثيرا من المترفين ومن
نشأ فى الجدة والامن يخرجون البطر حتى ان احدهم ينسى انه بشر او انه مربوب
او ان ضررا يمسه او ان مكروها ينزل به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفا او
يواسى فقيرا او يرثى لمبتلى او يتحنن على ضعيف او يتعطف على مكروب فاذا
عضته المكاره ووجد مضضها اتعظ وابصر كثيرا مما كان جهله وغفل
عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الامور المؤذية
بمنزلة الصبيان الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من
الاطعمة الضارة ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان يتفرغوا للهو والبطالة
وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من سوء النشو
والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام وما لهم
فى الادب من الصلاح وفى الادوية من المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهة
فان قالوا ولم يكن الانسان معصوما من المساوى حتى لا يحتاج الى ان يلذعه
بهذه المكاره قيل اذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحق للثواب
عليها فان قالوا وما كان يضره ان لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب
بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذة قيل لهم اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل ان
يجلس منعما ويكفى كلما يحتاج اليه بلا سعى ولا استحقاق فانظر هل تقبل نفسه ذلك

بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعى والحركة اشد اغتباطا وسرورا منه بالكثير
مما يناله بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة ايضا يكمل لاهله بان ينالوه بالسعى فيه
والاستحقاق له فالنعمة على الانسان فى هذا الباب مضاعفة فان اعد له
الثواب الجزيل على سعيه فى هذه الدنيا وجعل له السبيل الى ان ينال بسعى
استحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه فان قالوا اوليس قد يكون
من الناس من يركن الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة فى منع
من رضى ان ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة قيل لهم ان هذا باب لو صح للناس
لخرجوا الى غاية الكلب والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان
يكف نفسه عن فاحشة او يتحمل المشقة فى باب من ابواب البر لو وثق
بانه صائر الى النعيم لا محالة او من كان يأمن على نفسه واهله وماله من الناس
لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس فى
هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون فى ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع
للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الامور غير مواضعها وقد يتعلق
هؤلاء بالآفات التى تصيب الناس فتعم البر والفاجر او يبتلى بها البر ويسلم الفاجر منها
فقالوا كيف يجوز هذا فى تدبير الحكيم وما الحجة فيه فيقال لهم ان هذه الآفات
وان كانت تنال الصالح والطالح جميعا فان الله جعل ذلك صلاحا
للصنفين كليهما اما الصالحون فان الذى يصيبهم من هذا يردهم نعم ربهم
عندهم فى سالف ايامهم فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر واما الطالحون
فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم وردعهم عن المعاصى والفواحش وكذلك

ليجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك اما الابرار فانهم يغتبطون بما هم عليه
من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون رأفة
ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس
والصفح عمن اساء اليهم ولعل قائلا يقول ان هذه الآفات التي تصيب الناس في اموالهم
فما قولك فيما يبتلون به في ابدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل
والخسف فقيل له ان الله جعل في هذا ايضا صلاحا للصنفين جميعا اما الابرار
فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها
واما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص اوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها وجملة
القول ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخير
والمنفعة فكما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت نخلة اخذها الصانع الرفيق
واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي
تنزل بالناس في ابدانهم واموالهم فيصيرها جميعا الى الخير والمنفعة فان قال
ولم لا يحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ
الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فان هذين الامرين
جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث
عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان و
المعصية كما غلا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير
الارض منهم ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم
يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرئين من الآفات

فينبغي

حضه على الشي حثه ص
الخسف ان يغيب الله الارض بمن فيها ق
التمحيص التنقيص ق
الظاهر ان لفظ لا زائدة او وقعت سهوا من قلم الناسخ كذا وجدته
الدعة الخفض والسعة في العيش ق

فينبغي ان يساق هذا الامر الى غايته فينظر ما محصوله افرأيت لو كان كل من دخل
العالم ويدخله يبقون ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى
تعوزهم المساكن والمزارع والمعايش فانهم والموت يفنيهم اولا اولا يتنافسون
في المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء
فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم
الحرص والشره وقساوة القلوب فلو وثقوا بانهم لا يموتون لما قنع الواحد
منهم بشيء يناله ولا افرج لاحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث
عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من امور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره
حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا فان قالوا انه كان ينبغي ان يرفع عنهم المكاره
والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه
من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا وان قالوا انه كان
ينبغي ان لا يتوالدوا كي لا تضيق عنهم المساكن والمعايش قيل لهم اذا كان يحرم اكثر
هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله ومواهبه في الدارين جميعا
اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون فان قالوا كان
يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم
يقال لهم رجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لو كانوا لا
يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام
والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الاولاد والسرور بهم ففي
هذا دليل على ان كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ.

اعوزه الشي احتاج اليه والدهر احوجه ق
تنافسوا فيه رغبوا
نشب ينشب
لم يخلص منه ق
افرج عن المكان تركه
الوصب المرض

وسفاه من الراى والقول ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول
كيف يكون هاهنا تدبير ونحن نرى الناس فى هذه الدنيا من عز فالقوى
يظلم ويغصب والضعيف يظلم ويسام الخسف والصالح فقير مبتلى والفاسق
معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة او انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبة فلو كان
فى العالم تدبير لجرت الامور على القياس القايم فكان الصالح هو المرزوق والطالح
هو المحروم وكان القوى يمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة
فيقال فى جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذى
فضل به الانسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتسابا
للثواب وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التى تساس بالعصا
والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن
احد يعمل على يقين بثواب او عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسية
الى حد البهايم ثم لا تعرف ما غاب ولا تعمل الا على الحاضر وكان يحدث من هذا
ايضا ان يكون الصالح انما يعمل الصالحات للرزق والسعة فى هذه الدنيا
ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يعف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من
ساعته حتى يكون افعال الناس كلها تجرى على الحاضر لا يشوبها شىء من اليقين
بما عند الله ولا يستحقون ثواب الاخرة والنعيم الدايم فيها مع ان هذه الامور
التى ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية على خلاف
قياسه بل قد تجرى على ذلك احيانا والامر المفهوم فقد ترى كثيرا من الصالحين
يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان الكفار

تسفه فلان بالضم سفاها وسفاهة وسفه بالكسر ... صح
يقال رضى فلان بالخسف ... الخسف ... صح
ساس وسيس عليه اذا امر وامر عليه صح

هم المرزوقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح
وترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم
على الناس وعلى انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلبيس
بالقتل وان امهل بعض الاشرار بالعقوبة واخر بعض الاخيار بالثواب الى الدار
الاخرة لاسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون
من ملوك الارض ولا يبطل تدبيرهم بل يكون تاخيرهم ما اخروه او تعجيلهم ما عجلوه
داخلا فى صواب الراى والتدبير واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم
يوجب ان للاشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لا يصح فى
قياسهم ان يكون الصانع يهمل صنعته الا باحدى ثلاث خلال اما عجز واما جهل
واما شرارة وكل هذه محال فى صنعته عز وجل تعالى ذكره وذلك ان العاجز
لا يستطيع ان ياتى بهذه الخلايق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدى لما فيها
من الصواب والحكمة والشرير لا يتطاول لخلقها وانشايها واذا كان هذا هكذا
وجب ان يكون الخالق لهذه الخلايق يدبرها لا محالة وان كان لا يدرك كنه ذلك
التدبير ومخارجه فان كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف اسبابه
لانها لا تعرف دخلة امر الملوك واسرارهم فاذا عرف سببه وجد قايما على
الصواب والشاهد المحنة ولو شككت فى بعض الادوية والاطعمة فيتبين
لك من جهتين او ثلاث انه حار او بارد الم تكن ستقضى عليه بذلك وتنفى
الشك فيه عن نفسك فما بال هولاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخالق والتدبير
والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة واكثر منها ما لا يحصى كثرة لو كان نصف العالم

تقمم الامر ... عظم ... تقاقم
وبلبيس كان ... مصر ... ملك البلد
يتطاول ... ق
دخلة الرجل ... ونيته ومذهبه وجميع امره ق
المحنة ... والاسم المحنة ... نظر فيه ... ق

والشاهد المحنة

وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الراي وسمت الادب ان يقضي على العالم بالاهمال
لانه كان في النصف الاخر وما يظهر فيه من الصواب والاتقان ما يردع الوهم عن
التسرع الى هذه القضية فكيف وكلما فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى
لا يخطر بالبال شيء الا وجد ما عليه الخلقة اصح واصوب منه واعلم يا مفضل
ان اسم هذا العالم بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم قوسموس وتفسيره
الزينة وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة افكانوا يسمونه بهذا الاسم الا
لما راوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديرا ونظاما حتى
سموه زينة ليخبروا انه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء
اعجب من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطا وهم يرون الطبيب يخطي
ويقضون على العالم بالاهمال ولا يرون شيئا منه مهملا بل اعجب من اخلاق
من ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فارسلوا السنتهم بالذم للخالق
جل وعلا بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الاسرار وعمي عن دلايل الحكمة
في الخلق نسبه الى الخطاء ونسب خالقه الى الجهل تبارك الحليم الكريم واعجب منهم
جميعا المعطلة الذين راموا ان يدرك بالحس ما لا يدرك بالعقل فلما اعوزهم
ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب فقالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لانه فوق
مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فانك لو رايت حجرا يرتفع في
الهواء علمت ان راميا رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر بل من قبل العقل
لان العقل هو الذي يميزه فيعلم ان الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه افلا ترى
كيف وقف البصر على حده فلم يتجاوزه فكذلك يقف العقل على حده من معرفة

الخالق

قوسموس

الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل اقر ان فيه نفسا ولم يعاينها ولم يدركها
بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا ايضا نقول ان العقل يعرف الخالق من جهة
توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب له الاحاطة بصفته فان قالوا فكيف
يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم انما كلف
من العباد من ذلك ما في طاقتهم ان يبلغوه وهو ان يوقنوا به ويقفوا عند
امره ونهيه ولم يكلفوا الاحاطة بصفته كما ان الملك لا يكلف رعيته ان يعلموا
اطويل ام قصير ابيض هو ام اسمر وانما يكلفهم الاذعان لسلطانه والانتهاء الى امره
الا ترى ان رجلا لو اتى باب الملك فقال اعرض علي نفسك حتى اتقصى معرفتك
والا لم اسمع لك كان قد احل نفسه العقوبة فكذا القايل انه لا يقر بالخالق سبحانه
حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه فان قالوا اوليس قد نصفه فنقول هو العزيز
الحكيم الجواد الكريم قيل لهم كل هذه صفات اقرار وليست صفات احاطة
فانا نعلم انه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك قدير وجواد وساير صفاته
كما قد نرى السماء ولا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري اين منتهاه
بل هذا المثال بلا نهاية لان الامثال كلها تقصر عنه ولكنها تقود العقل الى
معرفته فان قالوا ولم يختلف فيه قيل لهم لقصر الاوهام عن مدى عظمته
وتعديها اقدارها في طلب معرفته وانها تروم الاحاطة به وهي تعجز عن ذلك
وما دونه ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على
حقيقة امرها ولذلك كثرت الاقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون
في وصفها فقال بعضهم هو فلك اجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا الوهج و

فوق مر

الشعاع وقال آخرون هو سحابة وقال آخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية
في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر
وقال آخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال آخرون هو من جوهر
خامس سوى الجواهر الاربعة ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة
عريضة وقال آخرون هي كالكرة المدحرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها
فزعم بعضهم انها مثل الارض سواء وقال آخرون بل هي اقل من ذلك وقال آخرون
بل هي اعظم من الجزيرة العظيمة وقال اصحاب الهندسة هي اضعاف الارض
مائة وسبعون مرة ففي اختلاف هذه الاقاويل منهم في الشمس دليل على انهم
لم يقفوا على الحقيقة من امرها واذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و
يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف بما لطف عن
الحس واستتر عن الوهم فان قالوا ولم استتر قيل لهم لم يستتر بحيلة يخلص اليها
كمن يحتجب عن الناس بالابواب والستور وانما معنى قولنا استتر انه لطف عن
مدى ما تبلغه الاوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن
ادراكها بالنظر فان قالوا ولم لطف وتعالى عن ذلك علوا كبيرا كان ذلك
خطاء من القول لانه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء الا ان يكون مباينا
لكل شيء متعاليا عن كل شيء سبحانه وتعالى فان قالوا كيف يعقل ان يكون
مباينا لكل شيء متعاليا قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته الاشياء هو اربعة
اوجه فاولها ان ينظر اموجود هو ام ليس بموجود والثاني ان يعرف ما هو
في ذاته وجوهره والثالث ان يعرف كيف هو وما صفته والرابع ان يعلم لما

ذا هو ولاية علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق ان يعرفه من الخالق
حق معرفته غير انه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال
المعرفة به واما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لانه جل ثناؤه علة كل شيء
وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الانسان بانه موجود موجب له ان يعلم ما هو وكيف
هو كما ان علمه بوجود النفس لا يوجب ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الامور
الروحانية اللطيفة فان قالوا فانتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى
كانه غير معلوم قيل لهم هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به
وهو من جهة اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو
من جهة كالواضح لا يخفى على احد وهو من جهة كالغامض لا يدركه احد وكذلك
العقل ايضا ظاهر بشواهده ومستور بذاته فاما اصحاب الطبايع فقالوا ان
الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى ولا عما فيه تمام الشيء في طبيعته وزعموا ان الحكمة
تشهد بذلك فقيل لهم فمن اعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود
الاشياء بلا مجاوزة لها وهذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب فان
اوجبوا للطبيعة الحكمة والقدرة على مثل هذه الافعال فقد اقروا بما انكروا
لان هذه هي صفات الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجه
الخلق يهتف بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طايفة انكروا العمد
والتدبير في الاشياء وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا
به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعادة كالانسان يولد ناقصا او
زائدا اصبعا او يكون المولود مشوها مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان

يكون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف ما اتفق ان يكون وقد كان ارسطا
طاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما هو شي يأتي في
الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة الامور
الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دايما متتابعا وانت يا مفضل ترى
اصناف الحيوان ان يجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد
وله يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على
خلاف ذلك فانه لعلة تكون في الرحم او في المادة التي ينشو منها الجنين
كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق دون
ذلك عايق في الاداة او في الالة التي يعمل فيها الشي فقد يحدث مثل ذلك
في اولاد الحيوان الاسباب التي وصفنا فياتي الولد زايدا او ناقصا او مشوها
ويسلم اكثرها فياتي سويا لا علة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض اعمال
الاعراض لعلة فيه لا توجب عليها جميعا الاهمال وعدم الصانع كذلك
ما يحدث على بعض الافعال الطبيعية لعايق يدخل عليها لا يوجب ان يكون
جميعها بالعرض والاتفاق فقول من قال في الاشيا ان كونها بالعرض والاتفاق
من قبل ان شيئا منها ياتي على خلاف الطبيعة يعرض يعرض له خطا وخطل
فان قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الاشيا قيل لهم ليعلم انه ليس كون
الاشيا باضطرار من الطبيعة ولا يمكن ان يكون سواه كما قال قايلون بل
هو تقدير وعمد من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة تجري اكثر ذلك على مجرى
ومنهاج معروف ويزول احيانا عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك

على

على انها مصرفة مدبرة فقيرة الى ابداء الخالق وقدرته في بلوغ غايتها واتمام
عملها تبارك الله احسن الخالقين يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك
وكن لربك من الشاكرين ولآلايه من الحامدين ولاوليائه من المطيعين
فقد شرحت لك من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد
قليلا من كثير وجزءا من كل فتدبره وفكر فيه واعتبر به فقلت بمعونتك
يا مولاي اقوى على ذلك وابلغه ان شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ
بمشية الله ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشيا فلما افقت قال كيف ترى نفسك
يا مفضل فقلت استغنيت بمعونة مولاي وتاييده عن الكتاب الذي كتبته
وصار ذلك بين يدي كانما اقراه من كفي ولمولاي الحمد والشكر كما هو اهله
ومستحقه فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع اليك ذهنك وعقلك و
طمانينتك فسالقي اليك من علم ملكوت السموات والارض وما خلق الله بينهما
وفيهما من عجايب خلقه واصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم
الى سدرة المنتهى وساير الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة السفلى
وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزاء انصرف اذا شئت مصاحبا
مكلوا فانت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب العارفين المؤمنين
موضع الماء من الصدى ولا تسالن عما وعدتك حتى احدث لك منه
ذكرى قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله

قدمه

لقد صادف الفراغ من تمشيق هذه الكتابة
الشريفة في عصر يوم الاربعا سابع عشر
شهر رجب المرجب من شهور
سنة سبع وستين
بعد الالف

۱۳۲۹ ش

تکرر ۸۳ اخبار خطی از ص ۸۷ تا ص ۱۱۴

اهلیلجیه (عربی) راوی مفضل بن عمر جعفی

آغاز (حدثنی محمد بن سعید النحوی بدمشق)

انجام (وکتبه عن الشرکاء و الانداد)

[illegible] ۱۹ سطر طول ۲۰ عرض ۱۳

باز بینی شد
خ ۱۲۵۳

۶۰۲۸

۶۰۲۸

وما يعاينون في السماء والارض من الصنع العجيب المتقن ولكن فتحوا على انفسهم ابواب
المعاصي والشبهات وسهلوا لها سبل الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم و
استحوذ الشيطان عليهم وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين والعجب من
مخلوق زعم ان الله يخفى على عباده وهو يرى اثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر
عقله وتأليف يبطل جحوده ولعمري لو تفكر في هذه الامور العظام المحدثة
في الاجسام لعاين منها من التركيب البين ولطيف التدبير الظاهر وعجيب
الصنع المتقن ما يدله على الصانع وهل يخلو مخلوق محدود ان يكون فيه
اثر الصنع والتدبير فيشهد ان له خالقا حكيما وقد الفاني كتابك على
اشتغال مني فرحت كتابا نازعت فيه بعض اهل الانكار لله عز وجل وذلك
انه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني
على ضلالته فبينا هو ذات يوم يدق اهليلجة ليدخلها دواء احتاج اليه من ادويته
اذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه ان الدنيا
لم تزل ولا تزال شجرة نابتة واخرى ساقطة ونفس تموت واخرى تحيا
وزعم ان انتحال المعرفة لله عز وجل دعوى لا بينة عليها ولا حجة وذلك شيء
اتخذه الآخر عن الاول والاصاغر عن الاكابر وان الاشياء المختلفة والمؤتلفة
والباطن والظاهر انما تعرف بالحواس الخمس وهي البصر بالعين والشم بالانف
وسمع الاذن وذوق الفم ولمس الجوارح ثم قاد منطقه على الاصل الذي وضعه
فقال لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدي الى قلبي انكارا لله تبارك وتعالى
فقلت له أرأيتك ان آمنت بالله عز وجل وجهه وجحدته هل يتبين ان احدنا صادق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
حدثني محمد بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثنا محمد بن ابي مسهر بالرملة
عن ابيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الجعفي الى ابي عبد الله جعفر بن محمد
الصادق عليه السلم يعلمه ان اقواما ظهروا من اهل هذه الملة يجحدون
الربوبية ويجادلون على ذلك ويساله ان يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا
بحسب ما احتج به على غيرهم فكتب ابو عبد الله عليه السلم بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد وفقنا الله واياك لطاعته واوجب لنا ولك رضوانه برحمته وصل
كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من اهل الالحاد بالربوبية قد
كثرت عدتهم واشتدت خصومتهم وتسال الرد عليهم والنقض لما في ايديهم
نحو ما رددت على غيرهم من اهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم
السابغة والحجة البالغة والبلاء المحمود عند الحاجة فان من نعمه العظام علينا
والآء الجسام الينا ما انعم به على خلقه من معرفته وانزل عليهم كتابا فيه شفاء
لما في الصدور من امراض الخواطر ومشتبهات الامور ولم يدع لهم ولا لشيء
من خلقه حاجة الى من سواه نعمة جل قدرها وعظم شكرها واستعين بالله
عليهم واستغني به عنهم والله غني حميد ولعمري ما اتي الجهال من قبل ربهم
وانهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات الظاهرات في خلقهم

وما

وما يعاينون في السماء والارض من الصنع العجيب المتقن ولكن فتحوا على انفسهم ابواب
المعاصي والشبهات وسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الاهواء على قلوبهم و
استحوذ الشيطان عليهم وكذلك يطبع الله على قلوب المعتدين والعجب من
مخلوق يزعم ان الله يخفى على عباده وهو يرى اثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر
عقله وتاليف يبطل جحوده ولعمري لو تفكر في هذه الامور العظام المحدودة
في الاجسام لعاين فيها من التركيب البين ولطيف التدبير الظاهر وعجيب
الصنع المتقن ما يدل على الصانع وهل يخلو مخلوق محدود دان يكون فيه
اثر الصنع والتدبير فيشهد ان له خالقا حكيما وقد الفاني كتابك على
اشتغال مني فرسمت كتابا انازعت فيه بعض اهل الانكار لله عز وجل وذلك
انه كان يحضرني طبيب من بلاد الهند لا يزال ينازعني في رايه ويجادلني
على ضلالته فبينا هو ذات يوم يدق هليلجة لدواء احتاج اليه من ادويته
اذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه ان الدنيا
لم تزل ولا تزال شجرة نابتة واخرى ساقطة ونفس تموت واخرى تحيا
وزعم ان انتحال المعرفة لله عز وجل دعوى لا بينة عليها ولا حجة وذلك شيء
اتخذه الاخر عن الاول والاصاغر عن الاكابر وان الاشيا المختلفة والمؤتلفة
والباطن والظاهر انما تعرف بالحواس الخمس وهي البصر بالعين والشم بالانف
وسمع الاذن وذوق الفم ولمس الجوارح ثم قاد منطقه على الاصل الذي وضعه
فقال لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدي الى قلبي انكارا لله تبارك وتعالى
فقلت له ارايت ان آمنت بالله عز وجل وجحدته هل تبين ان احدنا صادق

٤١٣٥٣
٤٠٢٨

والاحز كاذب قال لابد من ذلك قلت ارايت ان كان ما تقول توالك التحاف
على شيئا مما خوفتك به من عذاب الله قال لا قلت ارات ان كان الحق في
يدى اليس قد وقعت بجحودك وانكارك في الهلكة قال بلى قلت فاينا اقرب
من النجاة قال انت الا انك من امرك على ادعاء وشبهه وانا على يقين وثقه
لانى لا ارجو شيئا ادركته وما لم تدركه الحواس فليس بموجود قلت فاخبرنى
هل احطت بالجهات كلها وبلغت منتهاها ارتقات الى هذه السماء التي ترا
وانحدرت الى الارض السفلى وذرت اقطارها وانتهيت الى اطرافها وهل
غصت في الغمرات من البحور واشرفت في نواحي الهواء فيما فوق السماء و
تحتها الى الارضين وما اسفل منها فقال لى قال فما يدريك لعل الذى انكره
قلبك في بعض ما لم تدركه حواسك ولم يحط به علمك قال لا ادرى لعل في بعض
ما ذكرت مدبرا ولعل ليس في ذلك قلت اما اذا خرجت عن حد الانكار
الى حد الشك فانى ارجو ان تخرج الى حد المعرفة قال انما دخل الشك في سوالك
اياى عما لم يحط به عقلى ولكن من اين يداخل اليقين ولم يدركه حواسى قلت له
من قبل هليلجتك هذه قال اذا اثبت الحجة لى من هذه الهليلجة لانها من اداة
الطب الذى ادعى معرفته تابعتك قلت انما اردت ان انبئك من قبلها
لانها اقرب الاشياء منك ولو كان ما هو اقرب منها اليك لانباتك من قبله
لان في كل شئ اثر تدبير وتركيب وشاهدا يدل على صنعه والدلالة على من
صنعه ولم يك شيئا فاخبرنى عن هذه الهليلجة تقرانها من شجرة خرجت او
تقول هكذا وجدت قال لا بل من شجرة خرجت قلت فهل ادركت حواسك

تلك

تلك الشجرة قال لا قلت فما ادراك الا قد اقربت بشجرة لم تدركها حواسك قال لا
ولكن ازعم ان الهليلجة والاشياء المختلفة والموتلفة لم تزل تدرك قلت
فاخبرنى عن هذه الهليلجة التي عاينت شجرتها وعرفت صفتها والهليلجة
ليست فيها ثم عدت اليها والهليلجة فيها اليس تعلم انها حدثت قال بلى و
لكن ازعم انها كانت فيها متفرقة قلت فهل يحتمل عقلك ان شجرة تبلغ اصلها
وفرعها ولحاوها مع كثرة ورقها ما ظهرت وفيها كذا وكذا ارطالا ارطال من الورق
لا يحصى كثرة كانت كامنة في تلك الهليلجة وهى على ما ترى من الصغر و
القلة قال ما يحتمل عقلى هذا ولا يقبله قلبى ولو علمت انها لم تكن كامنة ولكن
اعرف انها صنوعة قلت ارايت البناء اتقر ان له بانيا ورايت صورة اتقر ان
لها مصورا قال لابد من ذلك قلت اليس تعلم ان هذه الهليلجة لحم مركب على
على عظم موضع في جوف متصل بعضو مركب الى ساق يقوم على اصل فيقوى
بعروق من تحتها وهى مصورة بتقدير وتخطيط وتاليف وتركيب بفصل
مداخل مولف شيئا في شئ وطبقا بعد طبق وجسما على جسم مع لون بياض
وصفرة تداخل في بياض ولين على لين ولين على شدة طبايع متفرقة و
طرايق مختلفة واجزاء موتلفة مع لحاء تسقيها وعروق تجرى فيها الماء وورق
يسترها ويقيها من الشمس ان تحرقها والبرد ان يهلكها والريح ان يوذيها قال
لى اليس لو كان الورق مطبقا عليها كان خيرا لها قلت الله عز وجل احسن
تقديرا لو كانت كما تقول لم تصل اليها الريح بنسيمها ولا البرد فيشتد دهاو
لعفنت عند ذلك ولو لم يصل اليها حر الشمس بانضجت ولكن يصيبها مرة برد ومرة

حرورة ريح بقدر ذلك تقدير الطيفا بحسن بتقدير الحكم قال حسبي ففسر من المدبر
قلت ان الهليلجة قبل ان تنعقد وهي في ثمرتها بغير نواة بلا لب ولا قشر ولا لون
ولا طعم ولا شدة المركن الماء الضعيف هو الذي قبلها شكل الخرزة دل الذي
يربيه علمنا ان لذلك خالقا بقدرته بلطفه ويصوره بحكمة ويربيه بقوته ولولا
ذلك المايزيد على ان يكون في ثمرة ليس بزايد ولا مصور بتخطيط ولا مركب
بتقدير ولا اثرت بزيادة اجزاء ولا نما الى الفاطباق قال لقد انبأتني من
تصوير شجرها وتأليف خلقتها وتصريف حالاتها وزيادة اجزائها باوضح الدلالة
واظهر البينة على معرفة الصنعة ولكن معي بعض الشك في الصانع الذي
لم ادركه بحواسي فبين لي كيف يعرف القلب ما لم تدركه الحواس فان اول ما ابدا
به الحواس فيما ذهبت او ذهب بعضها قلت تزعم ان القلب يدبر الاشياء التي فيها
المضرة والمنفعة من الامور الغائبة الخفية وهو الامر لها والناهي فيما ادركته
الحواس ودبره القلب فيصح في ذلك امره وينفذ فيه قضاؤه وانه لا بقاء
للحواس بعد هلاك القلب وان القلب يبقى بعد ذهاب الحواس قال صدقت
ولكن معه دليل على الاشياء التي يستدل عليها الحواس فبين لي كيف يستدل القلب
بغير الحواس قلت انا اول ذلك الطفل مضغة ليس يستدل على الثدي بالحواس
لانه لا يسمع ولا يبصر وهو طالب الرضاع فيتلمظ ويشبع باللبن ويضحك
بعد البكاء اذا روي فعلمنا ان الذي قذف في قلب الصبي حتى عرفه وهو
مضغة مدبر حكيم والا فاي الحواس دل الصبي على طلب الرضاع ومص الثدي
ومن اساغه اللبن وقذف في قلبه خبره حتى طلبه ما لم يعرفه قط واي الحواس

دل

دل على الضحك اذا روي وعلى البكاء اذا جاع واي الحواس دل الطير على لقط
الحب ومن دل السباع على ابتلاع اللحم واي حواس الطير طير الماء دلها على
السباحة اذا القيت في الماء وانتفعت به ولم ينتفع طير البر الى حواسه
والحواس راجعة ام بال الذرة لم يعاين الماء قط تطرح في الماء فتسبح ويلقى
الانسان من اقوى الرجال في الماء واعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق
فكيف لم يدرك عقله ولبه وتجربته وبصره واجتماع حواسه وهي فيه
مصححة ان يدرك ذلك بحواسه كما ادركته الذرة ان كانت انما ادركت
ذلك بالحواس وكيف يخفى على ذي لب وعقل ان القلب معه والعقل
في الصبي وغيره من الحيوان وان الذي هيج الصبي على طلب الرضاع والطير
على لقط الحب والسباع على ابتلاع اللحم لعزيز حكيم قال لما اجد القلب يعلم
شيئا الا بالحواس قلت اما اذا ابيت فسأبينك بشيء يستقر عندك انها
لا تعرف شيئا الا الظاهر واما ما يخفى فليس تعرفه وذلك ان الله تبارك
وتعالى خلق القلب والعين والاذن فاحتج بها على العباد وصير الحواس
دلالات على الظاهر الذي تستدل به العقل على الرب الخالق فنظرت العين
الى الخلق مختلف متصل بعضه ببعض ودلها القلب على ان لذلك خالقا
وذلك انه فكر حيث دلته العين على ان ما عاينت من عظم السماء وارتفاعها
في الهواء بغير عمد ولا دعامة تمسكها وانها لا تتأخر فتنكشط ولا تتقدم
فتزول ولا تهبط مرة فتدنو ولا ترتفع فلا ترى ولا يتغير لطول الابد
واختلاف الليل والنهار ولا تتداعا منها ناحية ولا تنهار منها طرف

ماعاينت من النجوم الجارية السبعة المخالف سيرها لدوران الفلك وتنقلها
في البروج يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة فمنها السريع ومنها
السريع ومنها البطي ومنها المعتدل السير ثم رجوعها واستقامتها و
امرها طولا وعرضا وخنسها تحت الشمس وهي مشرقة وظهورها بعد ذلك
وجري الشمس والقمر والبروج فلا يتغير جريها ولا تحول عن حالتها ولا تغير
عن مسير ولا طلوع ثم انكساف الشمس والقمر في ازمانها واوقاتها فعرف القلب
حين فكر ان لذلك التدبير والامر العجيب صانعا وانه الذي يمسك السما
الظليلة ان تهوى وهو الذي جعل فيها النجوم والشمس والقمر ثم نظرت العين
الى ما اسفلها من الارض فدلها القلب على ان لها خالقا وذلك ان القلب
فكر حيث دلته العين على ما عاينت من ثبوت الارض الممهدة ان تزول او
تهوى في شي منها وهو يرى الريشة يرمي بها فيسقط وهي في الخفة على ما هي
عليه الى الارض ونظر الى الارض وهي على ما هي عليه من الثقل لا تزول ولا تسقط
تعرف القلب ان لها ممسكا ومدبرا ولولا ذلك لانخسفت بما عليها من ثقلها
وثقل الجبال والانام والشجر والبحور والرمال ثم سمعت الاذن صوت الرياح
الشديدة العاصفة واللينة الطيبة وعاينت العين ما تقلع من عظيم
الصخور ويهدم من البنيان وتسفي من ثقيل الرمال تعا فاناحية وتصاب
اخرى بلا سايق تبصره العين ولا تسمعه الاذن ولا يدرك بشي من الحواس
وليست مجسدة فتلمس ولا محدودة فتعاين فلم تزد العين والاذن والحواس
على ان دلت القلب ان لها صانعا وذلك ان القلب فكر حيث دلته الحواس

بكل

بكل ما سمعت وعاينت فعرف القلب ان الريح لم يتحرك من تلقاء نفسها وانها لو كانت
هي المحركة لم تسكن ولم تقدم ناحية وتخطى اخرى ولم تصب ارضا وتدع اخرى
تعرف القلب حيث فكر ان لها مدبرا وهو الذي يسوقها حيث اراد ويسكنها
حيث شاء وكذلك دلت العين والاذن والقلب على هذه الزلزلة فدلها
القلب على ان لها خالقا وذلك ان القلب فكر حيث دلته العين على ما عاينت
من تحرك الارض في عظمها وثقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل
الجبال والمياه والانام والشجر وغير ذلك وانها تحرك ناحية وتمسك عن اخرى
حينا متصلا بلا فصل فيها ولا وصل فعرف القلب حين فكر ان لذلك الامر
العجيب صانعا وان الارض لو كانت هي المحركة المتزلزلة لم تقلع زلزلتها
ولم تسكن رجفتها ولو كانت هي الممسكة لنفسها ما تزلزلت ولا تحركت ولكن
حركها الذي خلقها ودبرها فحرك منها ما شاء ثم نظرت العين الى العظيم
مثل السحاب المسخر بين السماء والارض والجبال تتخلل الشجر فلا يحرك منها شيئا
ولا يهصر منها غصنا ولا يتعلق منها بعرض الركبان فيحول بين بعضهم وبين
بعض من ظلمته وكثافته يحمل من ثقل الماء وكثرة ما لا نقدر على صفته مع
ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعد والثلج والبرد
ما لا يبلغ الاوهام نعته ولا تهتدي القلوب اليه فيخرج مستقلا في الهوا
يجتمع بعد تفرقه وينفجر بعد تمسكه تصفقه الرياح الى حيث يسوقه باسم
مدبره وخالقه فيستقل مرة ويدنو اخرى ممسكا لما به من الما الكثير الى
البلدان المتباينة لا يقصر منه قصر حتى ينتهي الى ما يحصى من المسافة البعيدة

كتابخانهٔ آستان

فيرسل قطرة بعد قطرة وشيئا بعد شيء على رسله حتى يعم البرك ويملأ الفجاج
ويعلي الاودية بامثال الجبال غاصة بسيولها فيحيا به الارض الميتة فتصبح مخضرة
بعد ان كانت مغبرة ومعشبة بعد ان كانت مجدبة فقد كسيت الوانا من
نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشا للناس والانعام فاذا فرغ الغمام
ما فيه اقلع وتفرق وذهب حتى لا يعاين ولا يدرى اين يتوارى فعرف القلب
حتى يفكر فيما ادت اليه الحواس من ذلك ان له مدبرا حكيما ولو ان ذلك السحاب
والثقل من الماء هو الذي يرسل نفسه بعد احتماله لما مضى به الفرسخ
واكثر واقرب من ذلك وابعد ليرسله قطرة بعد قطرة بلا هدم ولا فساد
ولا صار به الى بلدة وترك اخرى وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار
دائبين جديدين لا يبليان في طول دهرهما ولا يفترقان لكثرة اختلافهما
ولا ينتقلان عن حالهما النهار في نوره وضيائه والليل في سواده وظلمته
يلج احدهما في الاخر حتى ينتهي كل واحد منهما الى غاية معروفة محدودة في
الطول والعرض على مرتبة واحدة ومجرى واحد مع سكون من يسكن بالليل
وانتشار من ينتشر بالنهار من الحر والبرد وحلول احدهما اصاحبه يعقب هذا
هذا حتى يصير البرد حرا والحر بردا في اوقاته وآنائه وكذا يستدل القلب
يعرف ان له مدبرا وان مدبر هذه الاشياء واحد قاهر لم يزل ولا يزول
وانه لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ولافسد كل
واحد منهم على صاحبه ولذلك سمعت الاذن ما انزل الله من كتبه على السن
انبيائه تصديقا لما ادركته العقول بتوفيق الله اياها وعونه لها اذا ارادت

ماعنده

ماعنده انه الاول لا شبيه له ولا مثل له ولا ضد له ولا تحيط به العيون ولا
تدركه الاوهام وكيف هو لانه لا كيف وانما الكيف للمكيف المخلوق المحدود
المحدث غير انا نوقن انه معروف بخلقه موجود بصنعه فتبارك الله وتعالى
اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله انه لو كان معه شريك كان ضعيفا ناقصا
ولو كان ناقصا ما خلق الانسان ولاختلفا التدابير والا انتقضت الامور مع
التقصير الذي به يوصف الارباب المتفردون والشركاء المتعانتون قال
قد اتيتني من انوار لطيفة ما لم يأت به غيرك الا انه لا يمنعني من ترك ما في
يدي الا الايضاح والحجة القوية بما وصفت لي وفسرت قلت او حجبت عن
الجواب واختلف منك فسأنبئك من قبل بدنك من الدلالة خاصة دون
الاشياء ما يتبين لك ان الحواس لا تعرف شيئا الا بالقلب قال هات قلت ما تراه
في منامك من الاكل والشرب حتى تصل لذته الى قلبك وما تراه من الضحك
والبكاء والجولان في البلدان التي رأيتها والتي لم ترها هل تعلم معالم ما رأيت
وما ترى من اخ او قرابة ومن دور ومن خرابات وذي رحم بعد ان مات حتى
تعرفه وتكلمه وكمعرفتك اياه قبل ان يموت فتحفظ ذلك وتقصه على اخوانك
تعرف ذلك بغير دلالة الحواس بتقدير مدبر حكيم والا فاي الحواس ادركت
هذه الاشياء في منامك حتى دل قلبك على معاينتها حتى عاينت الموتى و
كلمتهم وباي الحواس ادركت اكل الطعام والشراب والجولان في البلاد والضحك
والبكاء وغير ذلك وقذف علمها في قلبك حتى ذكرتها بعد ان استيقظت قال
ان الذي رأيت في منامي ليس بشيء انما هو بمنزلة السراب يعاينه صاحبه ولا يشك

الا انه ساء فاذا انتهى الى مكانه لم يجده شيئا قلت وكيف شبهت السراب بما رايت
في المنام واكلك الطعام الحلو والحامض والفرح والحزن قال كان السراب
حيث انتهيت اليه لم يك شيئا قلت اما اذا ابيت فانا انبئك بشيء تجد فيه
لذة في منامك وخفق لذلك قلبك وكذلك احتلامك بالامراة تقضي
منها نهمتك وتجد لذة ذلك على قدر ما تحب ان تجد في اليقظة فتشبع
وقد انزلت الشهوة حتى يخرج منك بقدر ما يخرج منك في اليقظة تجد لذلك
اثرا مع لذة هذا اكسر لحجتك في السراب قال ما يرى الحالم في منامه شيئا الا
ما كانت حواسه دلت عليه في اليقظة قلت ما زدت على ان قويت مقالتي وزعمت
ان القلب يعقل الاشياء ويعرفها بعد ذهاب الحواس وموتها فكيف ادركت
ان القلب يعرف الاشياء وهو يقظان مجتمعة له حواسه وما الذي عرفها الا
اياها بعد موت الحواس وهو لا يسمع ولا يبصر ولو كنت حقيقا الا تنكر له المعرفة
وحواسه حينئذ مجتمعة فاذا اقررت انه ينظر الى الامراة حسن بعد ذهاب عينه
حتى نكحها واصاب لذته منها فانه ينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه
به من معرفته بالاشياء والحواس ذاهبة عنه بعد ان يعرف ان القلب مدبر
الحواس وملكها ورأسها والقاضي عليها فانه ما جهل الانسان من شيء لما يجهل
ان اليد لا تقدر على العين ان تقلعها ولا على اللسان ان تقطعه ولا على نفسها
ان تقطعها وانه ليس يقدر شيء من الحواس ان يفعل شيء من الجسد شيئا بغير
اذن القلب ودلالته وتدبيره لان الله تبارك وتعالى جعل القلب مدبر الجسد
به يسمع وبه يبصر وهو القاضي والامير عليه لا يتقدم الجسد ان هو تاخر ولا يتاخر

ان

ان هو تقدم وبه سمعت الحواس وابصرت واطاعت ان امرها ائتمرت وان نهاها
انتهت وبه ينزل الفرح والحزن وبه ينزل الالم وان فسد شيء من الحواس بقي
على حاله وان فسد القلب ذهبت جميعا حتى لا يسمع ولا يبصر قال لقد كنت اظنك
لا تتخلص من هذه المسالة وقد جئت بشيء لا اقدر على رده قلت وانا اعطيك
تصاديق ما انبأتك به وما رايت في منامك في مجلسك الساعة قال افعل
فاني قد تحيرت في هذه المسالة قلت اخبرني تحدث نفسك من تجارة او صناعة
او بناء او تقدير شيء تامر به اذا احكمت تقديره في ظنك قال نعم قلت فهل اشركت
قلبك في ذلك الفكر شيئا من حواسك قال لا قلت افلا تعلم ان الذي اخبرك به
قلبك حق قال اليقين هو فزدني ما يذهب الشك عني ويزيل الشبه من قلبي قلت
اخبرني هل يعلم اهل بلدك علم النجوم قال انك لغافل عن علم اهل بلدي بالنجوم
فليس احد اعلم بذلك منهم قال قلت اخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم وهي مما لا يدرك
بالحواس ولا بالفكر قال حساب وضعه الحكماء وتوارثته الناس فاذا سالت
العالم عن شيء قاس الشمس ونظر في حالها وحال القمر وما الطالع من النحوس
في البروج وما الباطن من السعود منها فيحسب فلا يخطئ بالمولود فيخبر بكل علامة
فيه بغير معاينة قلت فكيف دخل الحسب في مواليد الناس قال لان جميع الناس انما
يولدون بهذه النجوم فمن ثم لا يخطئ الحساب اذا علمت الساعة واليوم والشهر و
السنة التي يولد فيها المولود قلت فتعال ننظر بعقولنا هل يستقيم ان يكون
علم الناس هذا من بعض الناس اذا كان الناس يولدون بهذه النجوم وان قلت
ان الحكماء من الناس هم الذين وضعوا هذا الحساب وعلم مجاري هذه النجوم وعرفت

نحوسها من سعودها ودونها من بعدها وبطيئها من سريعها ومواقعها من السماء
ومواضعها من تحت الارض فان منها ستة طالعة في السماء وستة باطنة تحت
الارض كذلك النجوم السبعة تجرى على حساب تلك النجوم وما يقابل القلب ولا
يدل العقل انه مخلوقا من الارض يقدر على الشمس حتى يعلم في اى البروج هى واى
بروج القمر واى بروج هذه النحوس والسعود ومتى الطالع ومتى الباطن وهى
معلقة في السماء وهى تحت الارض ولا يراها اذا توارت بضوء الشمس الا ان تزعم ان
هذا الحكيم رقى الى السماء حتى علم هذا ثم قلت وهبه رقا الى السماء هل له بد
من ان يخرج مع كل برج من البروج ونجم من هذه النجوم من حيث يغرب الى حيث
يطلع ثم يعود الى الاخر فيفعل ذلك بكلها ومنها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة
ومنها ما يقطعها في اقل من ذلك وهل كان له بد ان يجول في اقطارها حتى يعرف
مطالع السعود والنحوس منها ويتيقنه وهبه قدر على ذلك حتى فرغ منه كيف
كان يستقيم له ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الارض ويتيقنه ويعرفه بعينه و
كما قد عاينه في السماء فقد علمت ان مجاريها تحت الارض على حساب مجاريها في
السماء وانه لا يعرف حسابها ودقايقها الا بمعرفة ما غاب منها الا انه لا ينبغي ان
يعرف اى ساعة من الليل يطلع واى ساعة من الليل يغيب غايبها ولانه لا يصلح للتعلم
ان يكون واحدا حتى يصح الحساب وكيف يمكنه ذلك وهى تحت الارض وهو
على ظهرها لا يرى ما تحتها الا ان تزعم ان ذلك الحكيم دخل في ظلمات الارضين
والبحر فسار مع النجوم والشمس والقمر في مجاريها على حساب ما سار في السماء حتى علم
ما تحت الارض منها كما عاين منها ما في السماء قال وهل قلبك ان احدا رقى الى السماء

وقد على ذلك حتى اقول انه دخل الارض والظلمات وحتى نظر النجوم ومجاريها
قلت فكيف وقع هذا العلم الذى زعمت ان الحكماء من الناس وضعوه وان
الناس كلهم مولدون به وكيف عرفوا ذلك الحساب وهو اقدم منهم قال ما احد
يستقيم ان اقول ان احدا من الناس يعلم علم هذه النجوم المعلقة في السماء بتعليم
احد من الناس قلت لابد لك ان تقول انما علمه حكيم عليم بامر السماء والارض و
مدبرها قال ان قلت هذا فقد اقررت بالهك الذى تزعم غيرانى اعلم انه
لابد لهذا الحساب من معلم وان قلت ان احدا من اهل الارض علم ذلك من غير معلم
من اهل الارض لقد ابطلت الا ان علم الارض لا يكون عندنا الا بالحواس ولا يقع
علم الحواس في علم النجوم وهى معلقة تغيب مرة وتطلع اخرى تجرى تحت الارض كما
تجرى في السماء وما زادت الحواس على اكثر من النظر اذا طالعها اذا طلع والى غيبها
اذا غاب فاما حسابها ودقايقها وسعودها ونحوسها وسريعها وبطيئها فلا يقدر
عليه بالحواس قلت فاخبرنى لو كنت متعلما مستوصفا لهذا الحساب من اهل الارض
احب اليك ان تستوصفه وتتعلمه ام من اهل السماء قال من اهل السماء اذ كانت
النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها اهل الارض قلت فافهم لطف النظر ولا يغلبنك
الهوى اليس تعلم انه اذا كان اهل الدنيا يولدون بهذه النجوم ان النجوم قبل الناس
فاذا اقررت بذلك انكر عليك ان تعلم علمها من عالم منهم اذ كان العالم وهم انما
ولدوا بها بعدها وانها قبلهم خلقت قال بلى قلت وكذلك الارض كانت قبلهم
ايضا قال نعم قلت لانه لو لم يكن الارض خلقت لما استقام ان يكونوا ولا غيرهم من الخلق
عليها الا ان تكون لها ابحة اذ لم يكن لها مستقر تاوى اليه ولا المعتبر يرجع اليها وكذلك

الفلك قبل النجوم والشمس والقمر لانه لولا الفلك لم تعد البروج ولم تستقل مرة
ويهبط اخرى قال نعم هو كما قلت فقد اقررت بان خالق النجوم التي يولد الناس
بها هو خالق السماء والارض لانه لو لم يكن سما ولا ارض لم يكن دوران الفلك اذ ليس
ينبغي للناس ان يدلك عقلك على ان الذي خلق السما هو الذي خلق الارض والفلك
والدوران والشمس والقمر والنجوم قال اشهد ان الخالق واحد ولكن لست ادري
كيف سقطوا على هذا الحساب حتى عرفوه وعلى هذه الدقة والصواب ولو اعرف
من الحساب ما عرفت لاجتزيت بالجهل وكان اهون علي غير اني اريد ان تزيدني
شرحا قلت انبئك من قبل هليلجتك هذه التي في يدك وما تدعي من الطب الذي
هو صناعتك وصناعة آبائك حتى يتصل الهليلجة وما رايت من الادوية التي
تضعها بما قد امررت بحذقه قال هات قلت هل كان الناس على حال واحدة
ولا يعرفون النبت ومنافعه مثل هذه الهليلجة واشباهها قال نعم قلت فمن
اين اهتدوا لها قال بالتجربة وطول المقاساة قلت وكيف علموا ذلك بالتجربة
وكيف ظنوا انها للاجساد مصلحة وهم لا يرون فيها من الظاهر منفعة ام
باي معنى استدلوا عليها ابرادتها ام بخشونتها ام كيف عزموا على طلب ما لم
يعرفوا ما يدلكم عليه الحواس قال لا ادري واضع هذا الطب وواصف هذه
الادوية والعقاقير المفترقة فيما بين المشرق والمغرب هل كان الا رجلا حكيما
او رجالا حكماء قال لابد من ذلك قلت وكيف يستطيع رجل حكيم او رجال حكماء
ان يعرفوا خلطة الادوية بالتجربة مع كثرتها وتفرقها بين المشرق والمغرب فهب
ذلك هو الزعفران الذي هو بارض فارس اتراه تتبع جميع نبات الارض فارس

فذاقه

فذاقه شجرة شجرة ونبتا نبتا وعودا عودا طلبا للزعفران ومنفعته بعد بحثه
عن شجرة ونبت شجر فارس ونباتها كيف عرف وادركته حواسه انه لا يكون دواء
حتى يفضي الى الهليلج من الهند والمصطكي من الروم والمسك من تبت و
دارصيني من الصين وخصى البحر من الترك والرقوان من قبص والصبر من اليمن
والبورق من ارمينية وغير ذلك من الاخلاط والادوية التي تكون في اطراف
الارض كيف عرف ان بعض تلك الادوية وهي عقاقير مختلفة تكون المنفعة باجتماعها
ولا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع ام كيف اهتدوا لمنابت هذه الادوية
وهي عقاقير مختلفة دارها ومنابتها في بلدان متفرقة فمنها عروق ومنها ثمر و
منها يابس ومنها رطب ومنها عصارة ومنها صمغ ومنها زهر ومنها ما يعصر
ويطبخ ومنها لا يعصر ولا يطبخ لعلات شتى لا يصلح بعضها الا ببعض ولا تصلح دواء
الا باجتماعها ومنها مرارات السباع ومنها مرارات الطير طير البر وطير الماء
ومرارات دواب البحر ومرارات دواب البر واهل هذه البلدان مع ذلك
متعادون مختلفون بلغات شتى متغالبون بالعداوة بالمناصبة والقتل والسبي
فهبه تتبع اشجار الدنيا وبقولها وعروقها شجرة شجرة وورقة ورقة وشيئا
شيئا كيف دلته حواسه على منافعها ومضارها وتسكينها وتهييجها وباردها
وحارها ولينها ويابسها وذلك ما لا يدرك بالحواس فان قلت انما التجربة بالشرب
فلقد كان ينبغي له ان يموت في اول ما شرب وجرب تلك الادوية لجهالته بها
وقلة عقله وعلمه بعينها واكثرها السم القاتل وان قلت انه كان يجرب في الناس
باستعماله اياهم فلقد كان يقتل الاول فالاول فاول منهم وما كان ينبغي ان يداوي

احدا حتى يقتل بشرا كثيرا وما احسب ان اهل البلدان التي كان يقتل منهم من
يقتل بتجربته للدواء يدعونه ويقتلونه او يتركونه فهبتهم تركوه فلم يقتلوه
وسلموا له الامر كيف كان له مع ذلك ان يعلم ان في مرارات الطير والسباع
ودواب البر والبحر دابة دابة وطير طير حتى يقتلها ويختبر مراراتها كما بحث
عن تلك العقاقير وتتبع دواب البحر وطيره بحرا بحرا او دابة دابة وطير طير حتى
يقتلها ويختبر مراراتها كما بحث عن طير الماء وسباعه ودوابه وكما بحث عن
تلك العقاقير انه احدا من الانس قدر على ذلك قال لقد طبقت على المذاهب
وسددت على المخارج فما ادري ما احتيالي في هذه المسألة وقلت له هذه
العقاقير وهذه المرائر لا تكون دواء الا بعد اجتماعها بتقدير وكيف اداك
الحكيم الذي وصف هذه الادوية بزنة مثاقيلها وقراريطها عند اختلاطها
وهو يدخل في الدواء من اللون الواحد اربعة مثاقيل ومن الاخر مثقالان
ومن الاخر قيراط فما فوق ذلك فما دونه حتى يجي بقدر واحد استفرغ منه
صاحب البطن بقدر امسك بطنه وهو دواء واحد الا انه اختلف في الوزن
والمزاج وان زدت من بعضه ونقصت من بعض على المقدار اهلكت صاحب
البطن وصاحب القولنج وكيف عرف ان الدواء الذي سقي منه لوجع الراس
لا ينحدر الى الرجلين والانحدار اهون وما سقي منه للقدمين لا يصعد الى
الراس وهو عند الراس عند السلوك اقرب ام كيف عرف ان كل واحد
دواء يسقى لعضو لا ياخذ الا في طريقه والا العروق التي يسقى لها وذلك
الى المعدة يصير ومنها يفترق وكيف عرف انه لا يسفل منه ما يصعد ولا يصعد

منه

منه ما سفل ام كيف عرف ان ما ينفع الاذن لا ينفع العين وما ينفع العين لا ينفع
الاذن ام كيف ادركت العقول والحواس هذا وهو غايب في الجوف والعروق
في اللحم وفوقه الجلد لا يدرك بالسمع ولا بالبصر ولا بالشم ولا بالذوق والا ان
يكون الحكيم كان اذا سقى احدا من الناس من هذه الادوية شيئا فمات شق بطنه
وتتبع عروقه كيف عرف دواءه والدواء اذا خرج من المعدة الى العروق
اختلط بالدم فصار شيئا واحدا بل كيف عرف مجاري دوائه في الانسان اذا
مات برد دمه وصار غليظا لا يستدل عليه ويكون كلون الدم قال لقد حملتني (وجمد دمه)
على خطة صعبة ما حملت على مثلها ولقد جئت باشيا لا اقدر على ردها فاخبرني
كيف علم العباد هذه الادوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وتتبعوها وطلبوا
عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة قلت انما عرفوا ذلك في الاماكن وكم يدخل
صنف منها بتعليم غارس الحديقة بين المشرق والمغرب وما يجمع ما وصفنا من
شجرة وبقلة وطير وسبع وهو باري الاجساد ومركب العروق التي فيها
مجاري الدم من العصب واللحم والاعضاء للعباد بوحي منه على صفة كل شجرة
وبلدة وما يصلح فيها للدواء من العروق والثمر والزهر واللحاء والورق
والعصارة والعيدان وكذلك هو خالق الطير والسبع والدواب التي في
البر والبحر في مرايرها المنافع وما يدخل في تلك الادوية منها وترك ما لا منفعة
فيه ولولا ان خالق هذه الاشياء واحد دل عليها بوحي منه الى عباده لما
ما اهتدوا لها قال ان هذا لكما تقول وقد تطلب التجارب عند هذه الصفات
فما الدليل على ان خالق الحديقة بجميع ما فيها من النبت والشجر والاجساد هو

خالق واحد وهو خالق السماء والارض قلت انما دل على ان خالق الارض هو خالق
الحديقة انه لو لم يكن لغارس هذه الحديقة وخالق هذه الاجساد والدواب و
الطير والناس الذي خلقت لهم هذه الاشيا ولمنافعهم ان يخلق هذا الخلق
ويغرس هذا الغرس في ارض غيره مما ان شاء سفعه ذلك وكذلك انما ينبغي ان
تعلم انه من خلقه اذ كانت الحديقة لا يصلح الا بشرب بها من الماء الذي لا حيوة
لشي الا به ولو تكلف ذلك غيره حتى يكون خالقا لما سواه فيحبسه انا شاء لافسد
الحديقة واهلك الخليقة وكذلك ينبغي لك ان تعلم ان البحر من خلقه اذ كانت
الحديقة لا يصلح الا ان يكون لها مغيض لما غاض الماء عيضا نضبه وقل ينفصل
من شربها فيحبسه عن الحديقة لولا ذلك لغاض عليها الماء فاهلك جميع ما فيها
كما يهلكها لو احتبس عنها ولم يشرب وذلك ان جميع فضول المياه يصير الى
البحر فلا تراه زايدا ان كثرت وتتابعت معها الامطار على الحد الذي لم تزل
عليه ولا ناقصا في قلتها وشدة الحر واحتباس المطر مع ذلك ترى الامواج
امثال الجبال المشرفة على السهل والجبل ولولا ان امواجه تحتبس عند الموضع
الذي امرها فيه بالاحتباس لطبقت الدنيا حتى اذا انتهت اليه ذلت حتى
خضعت وخضع اشرافه وكذلك السحاب وما يحمل من الماء واتصاله بالحديقة
والخليقة وذلك عامة شرب الحديقة ليس من الانهار والعيون وان اعظم ما تشرب
ونبت فيها من الاشجار والبقول وساير النبت وما فيها من معاش الوحش والطير
والدواب في البراري لانه لا عيون لها والانهار انما هو مما يمطره السحاب
قال ما احسبه يكون الا خالقا واحدا الا اني احب ان تاتيني بحجة ازداد بها يقينا

قلت لا

قلت لا انبيك الا من قبل هليلجتك هذه واتصالها بالحديقة وما فيها من
الاشياء المتصلة باسباب السماء لتعلم ان ذلك بتقدير عالم حكيم قوي قادر
قال هات قلت اما اول ذلك فان الهليلجة تنبت في الارض وان عروقها
مولفة الى اصل والاصل معلق بساق والساق متصل بالغصون والغصون
متصلة بالورق والورق منطوية بها الاكمام فالورق مطلق عليها تظلها
من الحر والبرد متصلة بالسحاب والسحاب متصل بالمطر والمطر متصل
بالازمنة والازمنة متصل بسير الشمس والقمر والشمس والقمر متصلان
بتقدير محكم ما بين السماء والارض لا يقوم بعضه الا ببعض ان يوخر منها
شي عن شي وفيه هلك ما في الارض من نبات وهذا كله متصل بالناس يسخره
لهم المدبر الحكيم فخلق السماء سقفا مرفوعا ولولا ذلك لاظلم على خلقه نهارها
ولاحرقتهم الشمس بدنوها وحرارتها ونجوم سوا تلك تعرفها اهل الحساب
فيها دلالات على اهل ابطال ان الحواس لا تقع عليها دلالة الادهام الا بالدلالة
من العزيز الحكيم القوي القديم وفيها جعل سراجا وقمرا منيرا يسبحان في فلك
يدور بهما دايبين يطلعها تارة ونوفلها اخرى حتى يعرف عدة الايام
والشهور والسنين وما يستانف من الصيف والربيع والشتا والخريف
ازمنة مختلفة باختلاف الليل والنهار ولو جعل احدهما سرمدا ما قام لهم معاش
ابدا فجعل مدبر هذه الاشياء وخالقها النهار مبصرا والليل سكنا واهبط
فيها الحر والبرد متفاوتين مختلفين يذهب احدهما فيعقبه الاخر ولو دام
احدهما بغير صاحبه ما دامت شجرة ولا ثمرة وهلكت الحديقة ولان ذلك المتصل بالرياح

والامطار من الجهات الاربع باردة بترد انفاسهم وحارة تلفح اجسادهم وتدفع الاذى
عن ابدانهم ومعايشهم ورطوبة ترطب طبايعهم ويبوسة تنشف رطوباتهم وبها
تتالف المفترقة وبها يفترق الغمام المطبق حتى ينبسط في السما كيف يشا مدبره
فيجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله بقدر معلوم لمعاش مفهوم وارزاق
مقسومة وآجال مكتوبة ولو احتبس عن ازمنته ووقته هلكت الخليقة ويبست
الحديقة فانزل المطر في ابانه ووقته الى الارض التي خلقها لبني آدم وجعلها فرشا
ومهادا وحبسها ان تزول بهم وجعل الجبال لها اوتادا وجعل فيها ينابيع تجري
في الارض بما تنبت فيها لا يقوم الحديقة والخليقة الا بها ولا يصلحون الا عليها
مع البحار الى ذلك لهم ركوبها ويستخرجون منها حلية تلبسونها ولحما طريا وغيره
ياكلونه وليعلم ان آله البر والبحر والسما والارض وما بينهما واحد حي قيوم مدبر
حكيم وانه لو كان غيره لاختلفت الاشيا وكذلك السما نظير الارض التي تخرج
الله منها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا
بتدبير مولف مبين بتصوير الزهر والثمرة حيوة لبني آدم ومعاشا يقوم
به اجسادهم ويعيش بها انعامهم التي جعل الله في اصوافها واوبارها واشعارها
اثاثا ومتاعا الى حين والانتفاع بها والبلاغ على ظهورها معاشا لهم لا يحيون
الا به وصلاحا لا يقومون الا عليه وكذلك ما حملت من الاشيا فلا يجهل ان
جميع ما في الارض شيئان شي يولد وشي ينبت احدهما اكل والاخر ماكول ومما
يدلك عقلك انه خالقهم ما ترى من خلق الانسان وتهيئة جسده لشهوة
الطعام والمعدة لتطحن الماكول ومجاري العروق لصفوة الطعام وهيا لها الامعا

ولوكان

ولو كان خالق الماكول غيره لما خلق الاجساد مشتهية للماكول وليس له قدرة
عليه قال لقد وصفت وصفة اعلم انها من مدبر حكيم لطيف قدير عليم قد آمنت
وصدقت ان الخالق واحد سبحانه وبحمده غير اني اشك في هذه السمايم القاتلة
ان يكون هو الذي خلقها لانها ضارة غير نافعة قلت اليس قد صار عندك
انها من غير خلق الله قال نعم لان الخلق عبيده ولم يكن ليخلق ما يضرهم قلت سابصرك
من هذا شيئا تعرفه ولا انباتك الا من قبل هليلجتك هذه وعلمك بالطب
قال هات قلت هل تعرف شيئا من النبت ليس فيه مضرة للخلق قال نعم قلت ما هو
قال هذه الاطعمة قلت اليس هذا الطعام الذي وصفت يغير الوانهم ويهيج
اوجاعهم حتى يكون منها الجذام والبرص والسلال والماء الاصفر وغير ذلك
من الاوجاع اهو كذلك قلت اما هذا الباب فقد انكسر عليك قال اجل قلت
هل تعرف شيئا من النبت ليس فيه منفعة قال نعم قلت اليس يدخل في الادوية
التي يدفع بها الاوجاع من الجذام والبرص والسلال وغير ذلك ويدفع الداء
ويذهب السقم مما انت اعلم به لطول معالجتك قال انه لكذلك قلت فاخبرني
اي الادوية عندكم اعظم في السمايم القاتلة اليس الترياق قال نعم هو راسها واولها
ما يفزع اليه عند نهش الحيات ولسع الهوام وشرب السمايم قلت اليس تعلم
لابد انه للادوية المرتفعة والادوية المحرقة في اخلاط الترياق الا ان
تطبخ بالافاعي القاتلة قال نعم هو كذلك ولا يكون الترياق المنتفع به الدافع للسمايم
القاتلة الا بذلك ولقد انكسر علي هذا الباب فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وانه خالق السمايم القاتلة والهوام العادية وجميع النبت والاشجار و

غارسها ومنبتها وبارئ الاجساد وسائق الرياح ومسخر السحاب وانه خالق
الادواء التي تهيج بالانسان كالسمائم القاتلة التي تجري في اعضائه وعظامه
مستقر الادواء وما يصلحها من الدواء العارف الروح ومجرى الدم واقسامه
في العروق واتصاله بالعصب والاعضاء والعصب والجسد وانه عارف
ما يصلحه من الحر والبرد عالم بكل عضو وما فيه وانه هو الذي وضع هذه
النجوم وحسابها والعالم بها والدال على نحوسها وسعودها وما يكون من المواليد
وان التدبير واحد لم يختلف متصل فيما بين السماء والارض وما فيهما فبين لي
كيف قلت هو الاول والآخر وهو اللطيف الخبير واشباه ذلك قلت هو الاول
بلا كيف وهو الآخر بلا نهاية ليس له مثل خلق الخلق والاشياء لا من شيء ولا كيف
بلا علاج ولا معاناة ولا فكر ولا كيف كما انه لا كيف له وانما الكيف بكيفية المخلوق
ولانه الاول لا بدء له ولا شبه ولا مثل ولا ضد ولا ند لا يدرك ببصر ولا يحس
بلمس ولا يعرف الا بخلقه تبارك وتعالى قال وصف لي قوته قال انما سمي ربنا جل
جلاله قويا للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الارض وما عليها من جبالها
وبحارها ورمالها واشجارها وما عليها من الخلق المتحرك من الانس من الحيوان
وتصريفها الرياح والسحاب المسخر المستقل الماء الكثير والشمس والقمر و
عظمها وعظم نورهما الذي لا تدركه الابصار بلوغا ولا منتهى والنجوم الجارية
ودوران الفلك وغلظ السماء وعظم الخلق العظيم والسماء المسقفة فوقنا
راكدة في الهواء وما دونها من الارض المبسوطة وما عليها من الخلق الثقال و
هي راكدة لا تتحرك غير انه ربما حرك فيها ناحية والناحية الاخرى ثابتة وربما

خسف

خسف منها ناحية والناحية الاخرى قائمة يرينا قدرته ويدلنا على فعله على معرفته
فلهذا سمي قويا لا لقوة البطش المعروفة من الخلق ولو كانت قوته تشبه قوة
الخلق لوقع عليه التشبيه وكان محتملا للزيادة وما احتمل الزيادة كان ناقصا
وما كان ناقصا لم يكن تاما ولم يكن تاما كان عاجزا ضعيفا والله عز وجل لا يشبه
شيء وانما قلنا انه قوي للخلق القوي وكذلك القول العظيم والكبير ولا يشبه
بهذه الاسماء تبارك وتعالى قال افرايت قوله سميع بصير عالم قلت انما سمي تبارك
وتعالى بهذه الاسماء لانه لا يخفى عليه شيء مما يدركه الابصار من شخص صغير او
كبير او دقيق او جليل ولا نصفه ببصير لحظ عين كالمخلوق وانما سمي سميعا لانه
ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك
ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا يسمع النجوى ودبيب النمل على الصفا وخفقان الطير
في الهواء لا يخفى عليه خافية ولا شيء مما ادركته الاسماع والابصار وما لا يدركه
الاسماع والابصار ما جل من ذلك وما دق وما صغر وما كبر ولم نقل سميعا وبصيرا
كالسمع المعقول من الخلق وكذلك انما سمي عليما لانه لا يجهل شيئا من الاشياء
لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء علم ما يكون وما لا يكون ولو كان كيف يكون
ولم نصف عليما بمعنى غريزة يعلم بها كما ان للخلق غريزة علم يعلمون بها فهذا ما اراد
من قوله عليم فعز من جل عن الصفات ومن نزه نفسه عن افعال خلقه فهذا هو المعنى
ولولا ذلك ما فصل بينه وبين خلقه فسبحانه وتقدست اسماؤه قال ان هذا
لكما يقول ولقد علمت انما غرضي ان اسأل عن رد الجواب فيه عند مصرف عني
اي سائل فلجزني لعلي احكمه فيكون الحجة قد انشرحت للمتعنت المخالف او السائل

المرتاب او الطالب المرتاد مع ما فيه لاهل الموافقة من الازدياد فاخبرني عن قوله لطيف الخلق
للفعل ولكن قد رجوت ان تشرح لي ذلك بوصفك قلت انما سميناه لطيفا للخلق
اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة ومما اصغر منهما
لايكاد يدركه الابصار والعقول لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته لايعرف
من ذلك لصغره الذكر من الانثى ولا الحديث المولود من القديم الوالد فلما
راينا لطيف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للبقاء والهرب من الموت
والحدث عن نسله من ولده ومعرفة بعضها بعضا وما كان منها في لجج البحار
والسماء والمفاوز والقفار وما هو معنا في منزلنا وما يفهم بعضهم بعضا
من منطقهم وما يفهم من اولادها ونقلها للطعام اليها والماء علمنا ان خالقها
لطيف وانه لطيف بخلق اللطيف كما سميناه قويا بخلق القوي قال ان الذي
جئت به لواضح فكيف جاز للخلق ان يتسموا باسماء الله قلت ان الله جل ثناؤه و
تقدست اسماؤه اباح الناس الاسماء ووهبها لهم وقد قال القائل من الناس
للواحد واحد ويقول لله واحد ويقول قوي والله تعالى قوي ويقول صانع
والله صانع ويقول رازق والله رازق ويقول سميع بصير والله سميع بصير وما
اشبه ذلك فمن قال للانسان واحد فهذا له اسم وشبيه والله واحد وهو
له اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحدا واما الاسماء فهي دلالتنا على المسمى لانا
قد نرى الانسان واحدا وانما نخبر واحدا اذا كان مفردا فعلم ان الانسان في نفسه ليس
بواحد في المعنى لان اعضاءه مختلفة واجزاءه ليست سواء ولحمه غير دمه و
دمه غير عصبه وشعره غير ظفره وسواده غير بياضه لذلك سائر الخلق والانسان

واحد

واحد في الاسم وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق فاذا قيل الله فهو الواحد
الذي لا واحد غيره لانه لا اختلاف فيه وهو تبارك وتعالى سميع بصير وقوي
وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله احسن الخالقين قال فاخبرني عن قوله رؤوف
رحيم وعن رضاه ومحبته وغضبه وسخطه قلت ان الرحمة وما يحدث
لنا منها شفقة ومنها جود وان رحمة الله ثوابه لخلقه والرحمة من العباد
شيئان احدهما يحدث في القلب الرأفة والرقة لما يرى بالمرحوم من الضر و
الحاجة وضروب البلاء والاخر ما يحدث منا بعد الرأفة واللطف على
المرحوم والمعرفة منا بما نزل به وقد يقول القائل انظر الى رحمة فلان
وانما يريد الفعل الذي حصل من فعل ما وعنا من هذه الاشياء واما المعنى الذي
هو في القلب فهو منفي عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لا رحمة رقة واما
الغضب فهو منا اذا غضبنا تغيرت طبايعنا وترتعد احيانا مفاصلنا و
حالت الواننا ثم نجي من بعد ذلك بالعقوبات فسمي غضبا فهذا كلام الناس
المعروف والغضب شيئان احدهما في القلب واما المعنى الذي هو في القلب
فهو منفي عن الله جل جلاله وكذلك رضاه وسخطه ورحمته على هذه الصفة
جل وعز لا شبيه له ولا مثل في شيء من الاشياء قال فاخبرني عن ارادته قلت
ان الارادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل واما من الله
عز وجل فالارادة للفعل احداثه انما يقول له كن فيكون بلا تعب ولا كيف
قال قد بلغت حسبك وهي في هذه كافية لمن عقل والحمد لله رب العالمين
الذي هدانا من الضلال وعصمنا عن ان يشبهه بشيء من خلقه وان نشك في

کتابخانه آستان قدس

عظمته وقدرته ولطيف صنعه وجروته جل عن الاشياء والاضداد وتكبر
عن الشركاء والانداد   تم بعون الله وحسن توفيقه على يد العبد الاقل
الاحقر الاضعف ابن حاجي محمد زين العابدين الدارانی فی تاريخ يوم
الخميس ثامن عشر من شهور شهر رجب
المرجب سنه سبع وستين
بعد الالف من
الهجرة النبوية
صلى الله
عليه
واله

سال ۱۳٤۸ خورشیدی
بازبینی شد

کتابخانه آستان قدس
ویژه خطی

بازبینی شد
G ۱۳۵۳

وهذا الحوادث الذى لم يشبها
ولم يكن له كفوا احد

سال ۱۳۴۸ خورشیدی
بازبینی شد

بازبین شد
۱۳۴۲ خ

۱۵۲۲